

٢١٢ تفسير الكشاف ، للزمخشري ، محمود بن عمر – ٥٣٨هـ. كتب
تـ. ن في القرن الثامن الهجري تقديرا.
ج١ (١٧٨ق) ٢١ س ٢٥,٥×١٨سم
٦٢٥٢ نسخة حسنة ، بآخرها نقص ، خطها نسخ معتاد، استكمل
أولها وبعض الأوراق بخط تعليق ، طبع.
من سورة الفاتحة الى منتصف سورة النساء تقريبا
الأعلام ٨ : ٥٥ كشف الظنون ٢ : ١٤٧٥
١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف
ب- تاريخ النسخ ج- الكشاف عن حقائق التنزيل.

٩/٦/١٤٢٠٧هـ

تفسير الكشاف فحز اول الى نصف سورة النساء

او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب
ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد
وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان
يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم و
اخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن
عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح
من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه
واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وان برز على الاقران في علم
الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان
من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان كان انحى من سيبويه
واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء
من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في
ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة
الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين
تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا
في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها
يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شأنها متنبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا
جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب
الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد
رأيت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية
كلما رجعوا الي في تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا
شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق
حقائق



التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل
والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه واجبة لان الخوض فيه كفرض العين
ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى
الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسئلة في الفواتح وطايفة من الكلام في حقايق سورة
سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السوال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به
التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة
جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها
وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رايت القليل
من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة
الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده
وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا
واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاده بقطع
الفيافي وطي على المستعفي الحيل وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن
وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير
من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر رضي الله عنه
وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة
افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسأل الله ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني
ونورا على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سورة الفاتحة مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم قراء اهل المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء اهل مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من القرآن فان قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ واتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما فان قلت لم قدرت المحذوف متأخرا قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه قوله تعالى بسم الله مجريها ومرسيها فان قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا

علي

على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق به تعلق الدهن بالانبات في قوله تعالى تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن فان قلت فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرأ قلت هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشارة بذكره ومنه قيل للقلب النبر من النبر وهو رفع الصوت والنبر قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم الله اصله الاله قال معاذ الاله ان يكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة

على عام الخط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق
لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله واله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة
والحجر فان قلت اسم هو ام صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء
اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير ولان صفاته تعالى لا بد لها
من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت
هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة
هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك
ان الاوهام تتحير في معرفته وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح
فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك ~~العرب~~
~~...~~ العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان
وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن
من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة
في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب
انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق
الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت (المحمل صح) العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال فهذا
اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق و
والصعق لم يستعمل في غير الله تعالى كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة
رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم
في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمان أتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني
نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون
فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر
ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن

لاعبرة

لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فان قلت
ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده
لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم
ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى
كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه
الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد هو المدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول
حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال افادتكم
النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عم الحمد رأس الشكر
لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في
عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم
والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار
فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك
ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها
كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى
قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم صلعم حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على
معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان
لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها
العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس
الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام
وقرأ ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة
كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالها مقترنتين واشف (افضل) القرائتين قراءة
ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان
لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم

معرفا باللام

ثم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا على الله وحده
وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرا
زيد بن علي رضه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم
لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل
جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام قلت
ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرا
غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن
الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين
تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت
هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة
اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة
اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون
غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا
فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة
حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم
الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك
يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله تعالى من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شي من ملكوته
وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله
في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل
على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله ايا ضمير منفصل للمنصوب
واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم
ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه
المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء

شاذ لا يعمل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا
والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك
بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره
والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك
لم يستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن
لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب
ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلث
ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام
اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه
على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى
عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في
المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة
لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به
فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه
ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب
الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه و
الاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه
قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض
وقرا ابن حبيش نستعين هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي
اقوم وانك لتهدي الى صراط فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم
مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا

لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما
يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد الله أرشدنا السراط الجادة وسرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة
اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد
تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة
في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة
الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط
المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل
وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار
بان الصراط المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه
واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من
قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا
وايضاحا للاكرم والافضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه
بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق
الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن
ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرأ ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله
والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله
والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت
الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين
خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يأبى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي
قراءة رسول الله صلعم وعمر بن الخطاب رضه وروي عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت
وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى
لقوله تع قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة

وانزال

وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه
ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها
الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع
قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين
وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء
الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما
ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس
سألت رسول الله صلعم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال يا رب لا تحرمني
حبها ابدا ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي عليه السلام لقنني جبرائيل عم
آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت
في المصاحف وعن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن اصحابه
انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن النبي عليه السلام وعن الشافعي رحمه الله يجهر بها وعن
وائل بن حجر ان النبي صلعم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله عليه السلام انه قال
لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال
فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عم
قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله
رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم اعلم ان الالفاظ التي
يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب
اذا تهجيته وكذا راه باه اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات
لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلثة اتجه لهم
طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف
فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى
التهليل والحولقة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة

قلت لتأكيد ما في غير من معنى النفي كأنه
قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين

كأسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك
هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا الكل اسم عمدت الى تادية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه
بدخول العوامل شيء من تاثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة
ليرفع حسابها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو
اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات
المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف
الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف
ويستعملون الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص
لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال
على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير
والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب
الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا
بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول با كا فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال
اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في ياسين وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فاما الواو ان كان
حرفا قال فاذا كانوا قد امالوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو يس اجدر
الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية
قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب
لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو
كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي
بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان
قولك لا معصورة واذا جعلتها اسما مددتها فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته
من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة
بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة
وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح السور قلت

فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على
ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب
نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون
واسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك
طسم يتأتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طس فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد والنوع
الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قائل محمد بن طلحة
السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب
حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث
والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقلها على استبقاء صورتها الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت
سورة انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وقال آخر تنادوا بالرحيل
غدا وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا
من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد
وقاف ونون مفتوحات قلت الاوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع
الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس
ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرأ ياسين ويجوز ان يقال حركت
لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت
نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم
وقال رب من قلبي له الله ناصح وقال آخر فذاك امانة الله الثريد قلت ان القرآن و
القلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد و
استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله تعالى وتقدس والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق
الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان
الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه
قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو
كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله

لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن تالله لاخرجن اليوم والواو
الآخرة واو قسم لا تجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن وثم ها هنا بمنزلة الواو
هذا والسبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت
فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه
ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير
الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه
قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت
من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك
ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء فان قلت
هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر
حرف القسم مضمرا في نحو قوله تعالى حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما
قوله صلعم حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية
السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان القرآن ليس الا كلما عربية فان قلت فما بالها
مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف
واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسامي وتقع في الكتابة
الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة
السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال
غير ما هو عليه من مورده آمنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن
القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ
وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم
بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض
لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا
مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك
للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم

النظ

النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات
المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون
على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق
وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء
الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول
بمنزل وتناصره على الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم
والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول
بانها اسماء السورة حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى
واحدا فان اعترضت بانه قول مقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بان له محملا سوى
ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه
ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات
والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وانما تعني رواية القصيدة
التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة والآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من القصد التسمية واستفيد
منه ما يستفاد من التسمية قالوا ذاك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه
الاول ان يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا
على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانه من باب التسمية بما حقه ان يحكى
حكاية كما سموا تأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك
بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة
قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية
مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم
صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد
السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز
وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف
النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا

مستبعدا من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك إذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله حكم
الأقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل له من جهة
الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها من أحد واعلم أنك إذا تأملت ما أورده
الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء وهي الألف
واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون
في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس
الحروف بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها
الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء
والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون
ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء
والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن
المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن
حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها
من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت
أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز اسمه عدد
على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم
ومما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم أن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما
فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت
ولقمان والسجدة والأعراف والرعد ويونس وإبراهيم وهود ويوسف والحجر فإن قلت هلا عددت
بأجمعها في أول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لأن إعادة التنبيه على أن المتحدى به
مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقر له في الأسماع والقلوب من
أن يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره
فإن قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف

وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف
وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف قلت هذا على عادة افتنانهم في أساليب الكلام وتصرفهم
فيه على طرق شتى ومذاهب عدة وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك ۸
سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فإن قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت
إذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص
ساقطا كما إذا سمى الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد
وذاك بعمرو لأن الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل
للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فإن قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح
آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور أما الم فآية حيث وقعت
من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في
سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها
كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد هذا مذهب الكوفيين
ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية فإن قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد
الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فإن قلت ما حكمها في باب الوقف
قلت يوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده وذلك إذا لم تجعل
أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالأصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله عز وعلا
الم الله أي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا إله إلا هو فإن قلت هل لهذه الفواتح محل من الإعراب قلت
نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام فإن قلت ما محلها قلت
يحتمل الأوجه الثلاثة أما الرفع فعلى الابتداء وأما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها و
كونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه
كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعدودة فإن قلت لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد قلت
وقعت الإشارة إلى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمنقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام
يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا

الم أي هو الم
أو الم مبتدأ ذلك
مبتدأ ثان خبره الكتاب
[illegible] خبر [illegible]

[illegible]

وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل
الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك
الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو
من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه
فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجرى عليه في التانيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما
اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان
او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون
الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل
كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل
في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون
الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب
صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره
الكتاب اي ذلك المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني
المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر
والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن
بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك
ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه
صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من
نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل
الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب
ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى
قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فابعد وجود الريب

لا ريب فيه

٩

منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة
ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف
على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب
عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد
عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا
بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ
ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه
تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من
ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير
لا ريب فيه فيه هدى للمتقين الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية
بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى
هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون
المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم
قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب
الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم
عند مشارفتهم لاكتساب لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا
فله سلبه وعن ابن عباس رضه اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة
وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت
لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم
الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة
المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة
التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين

هدى

للمتقين

[illegible]

وسنام القرآن وأول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل
من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه
ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي
نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها
لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق
الا على خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف
او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينصب على الحال
والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال
صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب
جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة واصيب بترتيبها مفصل البلاغة و
موجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية
آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة
بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
وكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان
شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة
وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا
ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب
الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة كل واحدة من الاربع ففي الاولى الحذف
والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة
ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف
الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه
وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين على

الذين يؤمنون

على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما
مفصول عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف
على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة أواردة
بيانا وكشفا للمتقين او مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء
كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها
على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان
الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية
والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام
والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثمة اختصر الكلام اختصارا
بان استغني عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم يتوقف اخواته ان يقترن به
مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل لهما على العبادات واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا يكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على
فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان يكون مدحا للموصوفين بالتقوى
وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل
تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال
آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمنه معنى اقر واعترف
واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به
اي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه
حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته
ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب وتعضده ما روي ان
اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي
لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته

صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي
الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل
شربت الابل حتى وارمت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة
انخمصت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم
اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم
الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد
وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه
بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر
ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها
وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا والذين هم على صلوتهم دائمون
والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه
المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها وان
لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر
وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او ادائها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنها
بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان
من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى
حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طأطأ رأسه
وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه
بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان يضاف
الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم
مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به
الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وان يراد هي وغيرها من النفقات

خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسني ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا
مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت
حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية
مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله
وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى
ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت
رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم
بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها
الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة
بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة
التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك
دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم
شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته
الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون
غيره او هو مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان
المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل
بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين
ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك
الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو
فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق
شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك
ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ
والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زيننا بلباس

ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون

التقوى واحتشافه زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت
له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب
دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى لما قدم ذكر أوليائه وخالصة
عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره
بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تجدي عليهم ~~وجود الكتاب~~
اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته فإن قلت لم قطعت قصة الكفار
عن قصة المؤمنين ولم يعطف كنحو قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة
قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى
للمتقين وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب
وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فإن قلت هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما إذا
ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة
قلت قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك إدراج
له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا
يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون
للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم
باستواء الإنذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تع
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لأن
وأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك
وعدمه كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء
خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لأن فإن قلت الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه
فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى
وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك
وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف
الاسم على الفعل والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا

على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني أن هذا جرى
على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذاك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما
في علم المستفهم عنهما لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما
معلوم بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف
الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف
الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح فإن قلت ما تقول فيمن يقلب
الثانية ألفا قلت هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين أحدهما الإقدام على جمع الساكنين
على غير حده وحده أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة
والثاني إخطاء طريق التخفيف لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين
بين فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والإنذار
التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فإن قلت ما موقع لا يؤمنون قلت إما أن يكون جملة
مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا لإن والجملة قبلها اعتراض الختم والكتم أخوان لأن في الاستيثاق من الشيء
بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه
إذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فإن قلت ما معنى الختم على القلوب والأسماع
وتغشية الأبصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من
كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها
من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه
وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة
كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك وأما التمثيل
فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها
وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه
فقال ختم الإله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر وإذا أراد النطق خلت لسانه لحما يحركه
لصقر ناقر فإن قلت فلم أسند الختم إلى الله تع وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه
بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر
ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله
عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى
قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك
وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب
عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك
وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته
وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به
العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها
نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال قلوب
مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن
قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا
الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس
الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة
وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة
الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء
دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم
وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة
وناقة ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او
الكافر الا ان الله سبحانه وتعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب
ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي
عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الا ان يقسرهم
الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر
والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد

لا

لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال
والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية
فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم
على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرره لكان انتظاما
للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين
ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن
كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل
يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى
اسماعهم فان قلت هل منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت لم يمنع
لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له
بالامالة والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما يستبصر
ويتامل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر
وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع
والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول
اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف
الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب
ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم
والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان
في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته وخطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا
من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع
عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة لما افتتح سبحانه وتعالى بذكر
الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثنى بالذين

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا
فهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم
اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها
خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا
وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة
واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال
الاناس ويشهد لاصله انسان واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي
الجن جنا لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى انك تقول في وزن قه افعل
وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان
ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من
يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم
في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس
يقولون كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون
النبي فان قلت كيف تجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم
جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما
من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت
بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص
بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم
في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم
الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها
لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق
خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر
وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم احتازوا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره

يخادعون الله والذين آمنوا
وما يخادعون الا انفسهم
وما يشعرون

وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت كيف طابق
قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني
في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى
الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون
طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم
في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل
القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك
وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد
التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من
الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز
ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية
وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات
المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه
من قولهم ضب خادع وخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون اذا امر
الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر فان قلت كيف
ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي
لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا
من قريش كل منخدع وقول ذي الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء النعت بالانخداع
ولم يأت بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون
بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين
عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك
صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك
ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن
عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من

مثله بجويز ان يكون الله في زعمهم مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلّس على عباده ويخدعهم والثاني
ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا
ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني
زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من
الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله
ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما
كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على
واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة
والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة
قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة ويخادعون الله بيان
ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون
فان قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن
المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم
والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على
الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض
بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء
ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب
فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون
تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادع الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما يقول فلان
يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة
اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنّونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك
تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون
ويخدّعون من خدّع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويُخدعون ويخادعون على لفظ

ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس
لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم
وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى ومن الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين
اصيب نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رايان
وداعيان لا يدري على ايهما يعرّج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما
عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبّهوهما بذاتين فسموهما
نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم
الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم
الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم
لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة
ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد
والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير
ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد
ههنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر ومن الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم
كانت تغلي على رسول الله والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله
تعالى قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله اعف عنه
يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه
بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف
والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام
تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها الياس عندما انزل الله
على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجلادتهم في الحروب فضعفت جبنا
وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون

انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكأن الله هو الذي زادهم ما ازدادوه
اسناد الفعل الى المسبب له كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد
رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت
قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع
وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع ووصف
العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما
ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل
ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت
الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله
واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت
صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان
وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه او من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق
فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهائم
وبركت الابل او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف
متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين
تعير الى هذه مرة والى هذه اخرى واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول
آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد
خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة
النافعة والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة
عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت
بين طيء حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على
المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى تهييج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم
مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار
اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك

واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

١٦

انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة
قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى
التنبيه على تحقيق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها
في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي
اما من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك رد الله ما
ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف
وما في كلتا الكلمتين الا وان من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون
اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة
والثاني تبصيرهم الطريق الاسد في اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط
سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا و
آمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه
كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا ~~اسناد الفعل الى معنى الفعل~~ الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلاثة
احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان تكون كافة مثلها في ربما وان تكون مصدرية مثلها في بما رحبت
واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه
لانهم من جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية
او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام
في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك
فيقول او قد فعل السفيه ويجوز ان تكون للجنس وينطوي تحته الجارون ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم
اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لاعتقادهم ان ما عداه باطل
ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وبسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء
ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم او ارادوا عبد الله بن سلام
واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد
توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت
لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب

[illegible]

واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون

الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني
على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب
فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له هسا فانه هذه
الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم
وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين
وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطارهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي
واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء
السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار
الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم
ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا افترقت وبعد الفتنة
والاقبة اذا استقبلته قريبا منه وهو جار مثلا في وبرا وقرا ابو حنيفة رح واذا لاقوا وخلوت
بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه
القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه و
اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك
وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشياطين في موضع
من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن
اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه
الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين
بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا
باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم
اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم
من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج
عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين
والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا واما

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون

١٧

واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر
والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج
عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق قوله انما نحن مستهزئون بقوله
انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزئون رد
للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء
تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم
انا معكم فقالوا ان صح ذلك فما لكم توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية
والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزا يهزا مات على المكان عن بعض
العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزان على مكاني وناقته تهزا به اي تسرع وتخف فان قلت
لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله قالوا
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم
لان المستهزئ غرضه الذي يرمي اليه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزا به وادخال الهوان والحقارة عليه
والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء
امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز
ان يراد به ما مر في يخادعون من انه تجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بالادخار
ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت
هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء
الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل
بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج
المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا
لقوله انما نحن مستهزئون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد
وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام
مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول

قوله غرضه الذي يرمي اليه اي يقصده والاظهر الطف موقعه شبه الرمي

[illegible]

فى شأنهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم
قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ~~المنافقون ان ينزل عليهم~~ ويمدهم فى طغيانهم من مدّ
الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مدّ الدواة وامدّها زادها ما يصلحها ومددت
السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان فى الغى وامده اذا واصله بالوسواس
حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد فى العمر والاملاء والامهال
قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويُمِدهم وقراءة نافع واخوانهم
يُمِدونهم على ان الذى بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا فى
الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم فى الغى قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم
الله الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم بتزايد الرين و
الظلمة فيها تزايد الانشراح والنور فى قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه
مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان
الى الله تع لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد
فى الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام
على ان يسندوا الى الله ما اسندوا الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته
والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد
فى مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليما من القادح فاذا لم يتعاهد
اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضده ما قلناه قول الحسن فى تفسيره
فى ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو
وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما فى طِغيانهم بالكسر وهما لغتان كلُقيان ولِقيان وغُنيان وغِنيان
فان قلت اى نكتة فى اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادى فى الضلالة مما اقترفته انفسهم
واجترحته ايديهم وان الله برئ منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا
لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى الشياطين ذاته تع لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان
فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذى ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع
فى صدر من يلحد فى صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغى ولم يقيده

١٨

أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين الآية

بالاضافة فى قوله واخوانهم يمدونهم فى الغى والعمه مثل العمى الا ان العمى عام فى البصر والرأى والعمه فى الرأى
خاصة وهو التحير والتردد لا يدرى اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اى الذين لا رأى لهم ولا دراية
بالطرق وسلك ارضا عمهاء لا منار بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل
الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله عز وجل فيما
يعيب به بنى اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت كيف
اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنه فى ايديهم فاذا تركوه
الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التى فطر الناس عليها فكل من ضل
فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص
نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب فى الدين والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى الشف من
قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع
ويشترى للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن ابى عبلة تجاراتهم فان قلت
كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازى وهو ان يسند الفعل
الى شئ يتلبس بالذى هو فى الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح
عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازى قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط فى صحة رأيت
اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان شراء الضلالة بالهدى
وقع مجازا فى معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثمة مبايعة على الحقيقة قلت هذا
من الصنعة البديعة التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى
باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو
المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب فى البليد كأن اذنى قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا
ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا
يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة ومعاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش فى وكريه
جاش له صدرى لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر
ونحوه قول بعض فتاكهم فى امه فما ام الردين وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان

مطلب المجاز المرشح

فقطع في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى
المحكم ويريد اذا جردت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار
التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء اتبعه ما يشاكله ويواخيه
وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة راس المال والربح وهولاء
قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم
الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر
دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون
العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان
ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني
ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كانه
مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما اكثر الله في كتابه المبين
وفي ساير كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الانبياء عليهم السلام والحكماء قال الله تع
وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل
في كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر
الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول
الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثمة حوفظ عليه وحمي من التغيير فان قلت ما معنى
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين
بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها
شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي
وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجايبها
ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التورية اي صفتهم وشانهم
المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب
الشان فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله تعالى

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات فهم لا يبصرون

١٩

وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القايم موضع القايمين ولا نحوه
من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم
ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام
وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذاك علامة لزيادة
الدلالة الا ترى ان ساير الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد
الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه
الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار
يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن
اخواته وقد في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير
وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة
فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون
غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده
قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه اخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله
بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران
والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله
بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال
عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد
بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين
على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم
قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم
قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان
فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الاول قلت مرجعه الذي استوقد لانه
في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد
الفعل الى الله تع في قوله ذهب الله بنوره قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها

الله تع وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها
الله تع ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها
قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا
بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت كيف صح
في النار المجازية ان يوصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره
فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوءهم لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة
على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوءهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم
راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف جمعها وكيف نكرها وكيف ذكر عقيبه تركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم
النور وانطماسه وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يترآى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون
فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة
ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله
ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به
اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهب به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله
فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرا اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق
بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب
كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم
دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم
ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرا الحسن
ظلمات بسكون اللام وقرا اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل
المتروك المطروح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير
متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون فان قلت فلم شبهت حالهم بحال
المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت ~~المراد ما استضاءوا~~
قليلا واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو ابدا الا حائر خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاءوا به
قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق

التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد
اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد
الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى
عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة
التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار
للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا
به السنتهم وان ينظروا او يتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت
بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت
بسوء عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين
اريد فاصممت عمروا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف طريقته عند علماء
البيان قلت طريقة قولهم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك
في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رايت ليوثا
ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت هل تسمى ما في الآية استعارة قلت
مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون
والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به
المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح
مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثمة ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه و
يضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء ولبعضهم
لا تحسبوا ان في سرباله رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل وليس لقائل ان يقول طوى
ذكرهم عن الجملة لحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول
من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون
انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع
او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون
ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه ثم ثنى الله سبحانه في شانهم بتمثيل آخر ليكون

او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين

كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز
ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد
الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثنى من التمثيل في التنزيل
قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء
ولا الاموات والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته اذاك ام نمش بالوشي اكرعه اذاك
ام خاضب بالسي مرتعه فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره
الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب لان القلوب تحيى به
حيوة الارض وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب
لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد
والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب
والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين
ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء
وفي قول امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك
صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح اجاج وضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه
علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد
شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا
بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظايرها كما فعل امرء القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية
حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل
الذين حملوا التورية الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التورية وآياتها الباهرة
بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها
من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه
الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع

21

المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد
من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف
من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل
ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم
ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي
اولي حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به او لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا
الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو
بين في هذا قول لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس
بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك
نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة
وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخروه وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف
احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع
فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان
في استصواب ان تجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان
في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفيتي
هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها
فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع
ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب
لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصائب والصيب
ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة
في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب
من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة
من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء

والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء
والتنكير امدّ ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم
انه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات
قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السماء كان اجرام
السحاب تضطرب وتنتقض اذ حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب
من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب
او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه
مضمومة اليها ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال
غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا
في اعلاه ومصبه ~~يكون المطر مكانا~~ وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو
منه الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا
ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما
لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك
جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء
منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز
رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم
قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عوّل على ابقاء معناه
في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى
ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول
فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم
مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤوس الاصابع هي التي تجعل في
الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا
وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا

في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع
خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب وكان اجتنابها اولى
بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت
فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها
بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقوله سقاه
من الغيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا انها تنقدح من السحاب اذا اصطكت
اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها
سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق
اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع
وليس بمقلوب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على
حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره
جبذ في جذب ليس بمقلوبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد
او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابي ليلى حذر
الموت والنصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان
وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما
لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد
يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود رضي الله عنه يختطف وعن الحسن يخطف
بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف
من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم مشوا فيه استئناف
ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر
على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون
اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات
يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد

يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير

فاصمتهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوءه
وتعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد
فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم
به معقود من امكان المشي وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم
يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة يزيد
بن قطيب أظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس هما اظلما حالي ثمة اجليا
ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية
فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون لوثوقهم
بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء
جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم
لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب
كنحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تع لو اردنا ان نتخذ لهوا لو اراد الله ان يتخذ ولدا او اراد
ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرأ ابن ابي عبلة لاذهب
باسماعهم بزيادة الباء كقوله تع ولا تلقوا بايديكم والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة مطلب
الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير الا ترى
ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو او انثى والشيء مذكر وهو اعم العام
كما ان الله تع اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر
المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق
للقادر به كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل
مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم
قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس
واما الفعل بين القادرين فمختلف فيه فان قلت مما اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع مطلب
فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين

يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما
يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند
قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت
لصاحبك حاكيا عن ثالث لك ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت
بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على
جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى
ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا
استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح مطلب
الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم عن علقمة ان كل
شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا
ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه
واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له مطلب
منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذاك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه
معنى به جدا فان قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد
واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى
رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك
على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو
والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر
الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود
بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا
لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب
من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء
ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم كثر في كتاب
الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة

لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص
اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم
ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا
بالاكد الابلغ فان قلت لا تخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا
او الى كفار مكة خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا
بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو انى فعلت كنت كمن يساله وهو قائم ان يقوما
واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم
منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط
على المامور بالصلوة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت
الامر به وان لم يذكر حيث لم يفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركى مكة كانوا يعرفون الله
ويعترفون به ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا
شيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا
آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية
آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التى كانوا يسمونها
اربابا وكان قوله الذى خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على
الحقيقة والذى خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه
فى خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء يقال خلق
النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرا ابو السميقع وخلق من
قبلكم وفى قراءة زيد بن على والذين من قبلكم وقراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم
الموصول الثانى بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير فى قوله يا تيم تيم عدى لا ابا لكم تيما الثانى
بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه فى لا ابا لك ولعل
للترجى او الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمنى ولعله يهيننى وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل
الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع فى

مطلب

مطلب

فى مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجرى اطماعه
مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كى ولعل لا يكون بمعنى كى ولكن الحقيقة ما
القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا فى مواعيدهم
التى يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او
تظفر منهم بالرمزة والابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شئ من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم
شك فى النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذى العزة والكبرياء او يجئ على طريق
الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم
ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل التى فى الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه فى شئ
لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة
وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة فى الآية موقع المجاز
لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح
العلة فى اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع فى ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى
فهم فى صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال
المرتجى بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر
من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق
المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره
عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل
تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة
حتى يؤدى ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم
الذى خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت
لها فى النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك بيمينى الا لجر الاثقال ولو قلت
لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له
خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب فى التمكن من العبادة
والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التى هى مكانهم ومستقرهم الذى لا بد لهم منه وهى بمنزلة عرصة المسكن

ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سوّاه
عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلّة والمظلّة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل
المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا إلى النظر الموصل إلى التوحيد
والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وأن شيئا
من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى
لا يجعلوا المخلوقات له أندادا وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته إما أن يكون
في محل النصب وصفا كالذي خلقكم أو على المدح والتعظيم وإما أن يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من
المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون
عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده فإن قلت هل فيه دليل على أن الأرض
مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل
السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا
كان متسهلا في الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل والبناء
مصدر سمي به المبني بيتا كان أو قبة أو خباء أو طرافا وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى على امرأته لأنهم
كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فإن قلت ما معنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيئته
قلت المعنى أنه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الأجناس
كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال
إلى حال وناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من
عباده عبرا وأفكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون إلى عظم قدرته وغرائب حكمته ليس في إنشائها
بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات
وقوله فأخرجنا به ثمرات ولأن المنكرين أعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى
البعضية كأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا
هو المطابق لصحة المعنى لأنه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل
الرزق كله في الثمرات ويجوز أن يكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفا فإن قلت فبم
انتصب رزقا قلت إن كانت من للتبعيض كان انتصابه بأنه مفعول له وإن كانت مبينة

كان مفعولا لأخرج فإن قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان
أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم
كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وإنما هي مدر متلاحق والثاني أن الجموع يتعاور بعضها موقع
بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الأول قراءة محمد بن السميفع
من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه
قيل رزقا إياكم فإن قلت بم تعلق فلا تجعلوا لله قلت فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق بالأمر أي اعبدوا ربكم
فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك أو بلعل على أن ينتصب
تجعلوا انتصاب فأطلع في قوله عز وجل لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى في رواية
حفص عن عاصم أي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه أو بالذي جعل لكم إذا رفعته على الابتداء
أي هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند
المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوي قال جرير أتيما تجعلون إلي ندا وما تيم لذي حسب نديد
وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا إذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده
ونفي ما ينافيه فإن قلت كانوا يسمون أصنامهم بأسمائه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها
تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة
مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع
شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين
قومه أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فإن قلت
ما معنى وأنتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق
الأمور وغوامض الأحوال والإصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت
العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة والتوبيخ فيه آكد أي أنتم
العرافون المميزون ثم إن ما أنتم عليه في أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة
العقل ويجوز أن يقدر وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ تعلمون أنه لا يماثل أو وأنتم تعلمون ما بينه
وبينها من التفاوت أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء

لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلعم وما يدحض الشبهة في كون القران معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عنده كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القران المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القران محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار

لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القران كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه فان قلت ما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التورية والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم

[illegible] من مثله [illegible] بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او [illegible] ان يتعلق [illegible] فاتوا والضمير [illegible] وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته

في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانه اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير ملايم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك

اذا كان احط منه قليلا ودون تلك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى
مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو
في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راآه بالثناء عليه انا
دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد و
تخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من
دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال
امية ، دون الله يا نفس ما لك من واق ، اي اذا تجاوزت وقاية الله
ولم تناليها لم يقك غيره ، ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان
علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله
وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون
لكم بين يدي الله من قول الاعشى ، تريك القذى من دونها وهي دونه
اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي
امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز
بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون
اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من
المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم
الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع
وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة
الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته
وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز ، وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا
من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان

ما ندعيه

عامر
ولا للشيخ بنات الاوبر من واق

عامر
اذا ذاقها من ذاقها يتمطق
الزجاجة وضمير ذاقها باعتبار ما فيها
والاساس ذاقه فتمطق له اذا ضم شفتيه
والصق لسانه بنطع فيه مع صوت

ما ندعيه حق كما يقول العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء
من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز
لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير
قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز
وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله
فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة ، او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني
ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق
رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به
من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان يأتي بمثله دون كل
شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية
لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به
حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه
ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه و
وجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات
النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا
يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي
للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على
حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم
لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول
الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاومه ان غلبتك لم ابق
عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان

بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول
أتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي
تعطيك اختصارا وايجازا تغنيك عن طول المكني عنه الا ترى ان الرجل
يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد
كيفيات وافعالا فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك
وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم
تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله فان قلت لن تفعلوا
ما محلها قلت لا محل لها لانه جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة
لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا
وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل
في انا مقيم اني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند
الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف
مقتضب لتأكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو
به حتى تكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء
مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه
فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت
ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم
يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا
العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار
موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه

قلت صح

لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي
فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط
وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من
حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته
مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما
المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار
وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم
تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة
المصباح السليط اي ليست حياته الا به فكان نفس السليط حياته فان قلت صلة
الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد
بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم
نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة
منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها
نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه
اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار
ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد
احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه
او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق ويحمى بالنار
وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع
لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه

بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة من عادته عز وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المامور بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال صلى الله عليه وسلم بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان

الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة كالحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على الجمع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا

اي تخلالها والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة
التي هي المرة من مصدر جنّه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت
دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف
في ذلك والذي يقول بكونها مخلوقة يستدل بسكنى ادم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج
الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع
الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة
مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان
فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما
المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك
المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح
والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة
والثناء اذا لم يعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم
بقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال
للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط
والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري الانهار من تحتها قلت
كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري
في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار
في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان
والرياض وان كانت آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا
تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا
والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها

لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران
واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى
الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر
واللغة الغالبة النهَر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار
من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت
لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف
الانهار فان يراد الجنس كما يقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب و
انواع الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف
بالالام
باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الراس شيبا او يشار الى الانهار المذكورة
في قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الاية وقوله كلما رزقوا
لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل
ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا
ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا
اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع
من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع
قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها
او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما
لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات
قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من
اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فيقول
من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدا من ضمير الجنات ثم

جعل مقيدًا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدئًا من ثمرة وليس المراد بالثمرة
التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع
من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانًا على منهاج قولك
رأيت منك اسدًا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع
من الثمار والجنية الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل
وكيف يكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت
معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا
كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته
فان قلت الامَ يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق
في الدنيا والآخرة جميعًا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر
ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيًا او فقيرًا فالله اولى بهما
اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيًا او فقيرًا على الجنسين ولو رجع
الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه
ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسًا اُخر قلت
لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه
طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم
له معه الف ورأى فيه مزيةً ظاهرةً وفضيلةً بينةً وتفاوتًا بينه وبين ما عهد
بلغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه
النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسًا لم يعهده وان كان فائقًا
حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين
ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن

حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق
الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة
من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب
في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب
للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير
عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها
دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك
التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن
مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما
نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود
اثنتا عشرة ذراعًا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق كما
ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم
متجانسًا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى
بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كُل فاللون
واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من
اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله
مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير
الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابهًا من نظم
الكلام قلت هو كقولك فلانٌ احسن بفلانٍ ونعم ما فعل ورأى من
الراي كذا وكان صوابًا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلةً
وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق بالكلام معترضةً

للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا بما يكتسبن بانفسهن وما يأخذنه من اعراق السوء والمناصب الردية والمناشئ المفسدة ومن ساير عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن ○

فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة ۞ واذا العذارى بالدخان تقنعت ۞ واستعجلت نصب القدور فملت

والمعنى جماعة ازواج مطهرة وقراءة زيد بن علي مطهرات وقراءة عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله جل وعز المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم ۞ والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افإن مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس

۞ الا انعم صباحا ايها الطلل البالي ۞ وهل ينعمن من كان في العصر الخالي ۞

وهل ينعمن الا سعيد مخلد ۞ قليل الهموم ما يبيت باوجال ۞

سيقت هذه الاية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان يكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب

وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا يستدعيه حال المتمثل له ويستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الالهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضرب به محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطاء حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغضبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلتفتون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا اذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة

وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض ولقد ضربت
الامثال في الانجيل المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاه والارضة
والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وبأحقر منها لا يخفى استقامته
وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك
بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال
الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا
لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت
في كتابه وضرب للمشركين به مثلا ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا
كلام الله فانزل الله تعالى هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان
من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال
نسي وحشي وشظي اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من
الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك
حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وجمد
في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز
عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل
تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك
من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي
لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها ويجوز
ان يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب

٢٢

مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب
منه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط
الشهادة فقال انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة
المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته
بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد يستعمل
الحياء فيما لا يصح فيه اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وقرأ ابن كثير
في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما
محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اصطنع رسول الله
خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما
كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي
ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا انتصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير
هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان يكون التي فيها
معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد
ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار
ودیناران والمعنى ان الله ان يمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل
بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما يقول العرب
فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة
تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا
يشبهون بالحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة
بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين لجري ضرب مجرى جعل
واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع مصدر كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد لنعم البيت
بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول
كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا
وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من

بالاشياء

السفالة والنذالة وان كان جائزا عليها في نجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
لانها اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يتبجح بادنى شي فيقال فلان بخيل بالدرهم
والدرهمين كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم عن
الاسود قال دخل شباب من قريش على عايشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على
طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان يذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول صلعم قال ما من مسلم يشاك
شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة
النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد
من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر
قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر
منها ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها
فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك
صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في
خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت
لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها
والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول واما حرف فيه معنى
الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه
لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شي
فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان
لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين
اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت
ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون
كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول رفع المحل على الابتداء
وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا
وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السوال وقد جوزوا عكس ذلك تقول في جواب من قال ما رايت خير اي المركب

ودرس

وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا
من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده
من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف
المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس
كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى
كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال
وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا
ذهابا الى الحقيقة كثيرا ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
واسناد الاضلال الى الله سبحانه وتعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب
به المثل فضل به قوم واهتدى قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن
دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما
ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة
فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود
على رجلك وقرا زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا الفاسقون
والفسق الخروج عن القصد قال فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في
الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي
بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل
بن عطاء وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويصلى
عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد
عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة
لا تجزي خلفه ويقال للخلعاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمال في

واوله يذهبن في نجد وغورا غائرا
والنجد ما ارتفع من الارض والغور ضد ذلك الارض

كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد الكفر والتنابز ان المنافقين
هم الفاسقون ٥ النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال
النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة
لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة ٥
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان
الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا
عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا
بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه
الناس واذا تزوجت امراة فاستوثقوها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع
والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه
في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه
والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود والمتعنتون او منافقوهم
او الكفار جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في
عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث
اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما
تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في عليه السلام
الانجيل لعيسى سانزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريته اياهم من
الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا
من عهدي اليهم وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصره
اياهم وكيف انزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا

٢٥

بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود
وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا [illegible]
ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول
الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص
به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله
من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى
الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او بعد ما وثق
به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم ٥
الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على
الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل
ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو
اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه
مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اي ٥
قصدت قصده ٥ هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل
والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها ٥ معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون
بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره
قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير
جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما
ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي

من الصارف على الكفر والداعي الى الايمان فان قلت قد تبين امر الهمزة
وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في
كيف حيث كان انكارا للحال التي تقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابع لذاته
فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر
لانها تتبع ذات الكفر ورد يفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية
وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال
يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان
يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في
قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض
ولا يقال جئت وقام الامير ولكن جئت وقد قام الآن يضمر قد قلت لم تدخل
الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون
بالله وقصتكم هذه وحالكم هذه انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم
احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت فان قلت بعض القصة
ماض وبعضه مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون
فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت
هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة وباولها و
آخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم
بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف للانكار
وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية وكانه قيل ما اعجب كفركم
مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم
يميتهم لم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما

٢٦

١٠١

بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات
جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا
وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم
الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة
لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني
قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور
وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت فلم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب
بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد
تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور
تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى
الجزاء ايضا فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها
مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا
تكفر قلت يحتمل الامرين لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم
لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما
الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر
الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب
الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة
البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق و
السباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على
ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل
مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم

ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ــــ ان اراد بالارض الجهات السفلية
دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما
فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء
الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى
اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير
قوله ثم استوى الى السماء اى قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من
غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل
ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم
ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه
العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج
والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما
من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ــــ
ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة
قلت ــــ ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض
لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين امنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت
لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اى
في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت ــــ اما يناقض هذا قوله والارض بعد
ذلك دحاها قلت ــــ لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها
فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان
ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه
الارض فذلك قوله كانتا رتقا ففتقناهما وهو الالتزاق ۞ واذ نصب باضمار

٢٧ اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق
التاء لتانيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما
قولك في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان
الارض فخلفهم فيها آدم وذريته فان قلت ــــ فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت ــــ
اريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة
في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ
خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي
انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت ــــ لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ــــ ليسألوا
ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم من
اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان
يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا
عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو
الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت ــــ من اين عرفوا
ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت ــــ عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح
او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على
صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل
سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك
والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح
تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب
فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اى نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا
انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اى اعلم من المصالح

فى ذلك ما هو خفى عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا
ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفى عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم
بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها واشتقاق آدم من الادمة ومن
اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم
الا اسم اعجمى واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعابر وعازر وشالخ و
فالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اى اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما
مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه كقوله واشتعل
الراس فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان
الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات
لقوله انبئونى باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء
لا بالمسميات ولم يقل انبئونى بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت
فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التى خلقها وعلمه ان هذا اسمه
فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من
المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اى عرض المسميات وانما ذكر لان فى المسميات
العقلاء فغلبهم وانما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان
كنتم صادقين يعنى فى زعمكم انى استخلف فى الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة
للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى اصول الفوائد كلها ما يستاهلون
لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح فى استخلافهم فى قوله
انى اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض استحضار
لقوله لهم انى اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرى
وعلم آدم على البناء للمفعول وقراءة عبد الله عرضهن وقراءة ابى عرضها والمعنى

عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح فى الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة
ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على وجه العبادة ولغيره على
وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال
والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك
الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا فى لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس
استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم
فغلبوا عليه فى قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى
امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم
فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه السكنى من السكون لانها
نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن فى اسكن ليصح العطف عليه ورغدا
وصف للمصدر اى اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اى اى مكان من
الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة
حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى
لا يبقى لهما عذر فى التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت
الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذه
الشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابى عمرو انه كرههما وقال
يقرأ بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله
فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهى الضمير فى عنها للشجرة اى
فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن
هذه مثلها فى قوله وما فعلته عن امرى وقوله ينهون عن اكل وشرب وقيل
فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل

معنى ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما فنحاهما عما كانا فيه من النعيم
والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقراءة عبد الله فوسوس لهما
الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته
عنها فان قلت ـــ كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج
منها فانك رجيم قلت ـــ يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة
كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل
كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد ان
يدخل فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون وقيل
اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد
هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم
والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن
تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم
لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعضهم والهبوط
النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش
الى حين يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت معنى تلقي الكلمات استقبالها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات
على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ـــ ما هن قلت ـــ
قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله تعالى
ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا

انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال الم تنفخ فيّ الروح من روحك
قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى
قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر
توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن
والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع
عليه بالرحمة والقبول فان قلت ـــ لم كرر قلنا اهبطوا قلت ـــ للتاكيد و
لما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ـــ ما جواب الشرط
الاول قلت ـــ الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت
اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل
قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت ـــ
لم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت ـــ للايذان
بان الايمان والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه لم
يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من
العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت ـــ الخطيئة
التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة
فلم جرى عليه ما جرى من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء
كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة
الى التوبة قلت ـــ ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار
الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما
للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا
واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها

ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدى على لغة هذيل فلا خوف بالفتح اسرائيل هو يعقوب
عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابرهيم واسمعيل
غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائيل واسرال واذكروا
النعمة ان لا تخلوا بشكرها وتعتدوا بها وتستعظموها وتطيعوا مانحها واراد بها
ما انعم به على اباءهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق
ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم عليهم من ادراك
زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التورية والانجيل ٥ والعهد يضاف
الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي ما عاهدت عليه لقوله
ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى اوفوا
بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن
اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون
فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص
من اياك نعبد وقيل اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء
بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه
ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا
بما انزلت مصدقا ولا تكونوا اول كافر به اول من كفر به او اول فريق
او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي
كل واحد وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم
به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين
على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان

امرهم

امرهم على العكس لقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم
الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل
مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من
لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا
بما يصدقه فقد كفروا به ٥ والاشتراء استعارة من الاستبدال كقوله اشتروا
الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا فاني شريت الحلم بعدك بالجهل
يعني ولا تستبدلوا باياتي ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة
التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله فاستبدلوها
وهي بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل
وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم
من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم
وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع وكان ملوكهم يدرون عليهم الجيد الاموال
ليكتموا او تحرفوا ٥ الباء التي في بالباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء
بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل
بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة
كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم
الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا
او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل
وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمكة وتشرب اللبن فان قلت لبسهم
وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا

الحق بالباطل فقد كتموا الحق فلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل
ما ذكرنا من كتبتهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في
التورية صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف
عبد الله ويكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو
اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلاة يعني صلاة المسلمين وزكاتهم
واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع والخضوع و
الانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود
وان يكون امرا بان تصلي مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلاة وصلوها
مع المصلين لا منفردين ٥ اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم
والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم
صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع
محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات
ليفرقوا خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على
ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها فدخلنا
الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها ٥ وتنسون انفسكم وتتركونها
من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني
تتلون التورية وفيها نعت محمد او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة
القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم
عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبو العقول لان
العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون
٥ واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلاة اي بالجمع بينهما وان تصلوا

صابرين

صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات
ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع و
استحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه
وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ٥ او واستعينوا على
البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم و
هو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم
قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم
لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلاة
الدعاء وان يستعان على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه
وانها الضمير للصلاة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها
بنو اسرائيل ونهوا عنه من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا ٥ لكبيرة لشاقة ثقيلة
من قولك كبر علي هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما بالها لم
تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون
ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله يظنون انهم ملاقوا
ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون
ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من
لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت مشقة عظيمة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين
والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار
عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ
مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجعلت قرة عيني في الصلاة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات و
التطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت
بقولها اذا لينته ۝ وَاَنِّي فَضَّلْتُكُمْ نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي
على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما
من الناس يراد الكثرة يَوْمًا يريد يوم القيامة ۝ لَا تَجْزِي لا تقضي عنها شيئا من
الحقوق ومنه الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا
مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون
شيئا ومن قراء لا تُجْزِئُ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قرائته الا بمعنى شيئا
من الاجزاء وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة
منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو
محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي ۝ تروحي اجدر ان تقيلي
اي مكانا اجدر ان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول به
فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ۝ ومعنى التنكير ان نفسا
من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع
وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى
ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرا قتادة ولا يقبل
منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله جل وعز ونصب الشفاعة وقيل كانت
اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قلت هل فيه دليل
على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا
اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة
فان قلت الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية

العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان
جاءت بشفاعة شفيع لا تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت
لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي
كما تقول ثلاثة انفس آل اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا
وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام
وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو
الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم وقد نُجِّينَاكُمْ
وَنَجَّيْنَاكُمْ ۝ يَسُومُونَكُمْ من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم
اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا ۝ واصله من سام السلعة
اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء
يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب
والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سايره ۝ يُذَبِّحُونَ بيان لقوله
يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا وقرا الزهري
يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرا عبد الله يقتلون
وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده
هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله وَالْبَلَاءُ
المحنة ان اشير به الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء ۝ فَرَقْنَا
فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فَرَّقْنَا بمعنى فصلنا
يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على
عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد

خسفا

انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين
الشيئين بما توسط بينهما او ان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون
في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا
لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم
فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال
بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون
الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك
فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل التورية وضرب
له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها
بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي ووعد المجيء للميقات الى الطور من بعده
من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد
ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون
ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع
بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية كقولك
رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد اتينا
موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع من كونه فرقانا
وضياء وذكرا او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا
واليد وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل
الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم
الفرقان يريد يوم بدر حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع

وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة روي
ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل
الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم
ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل
حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهارون
وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة
فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق
بين الفاآت قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية
للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى
جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى
فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو
اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد
تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير
ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا
الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة
والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم
الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى
عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور
حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم و
ينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة

من لا يقدر على شيء منها قيل القايلون السبعون الذين صعقوا وقيل ماله عشرة الاف منهم
جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين
جاهر بالروية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع
من الروية فنصبت بفعلها كما ينصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة
وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل
على ان موسى عليه السلام راذهم القول وعرفهم ان روية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة
محال وان من استجاز على الله الروية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه
بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصعقة
كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة
ما صعقهم اي اماتهم وقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء
وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام
لم يكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون
اليه لقوله وانتم تنظرون وقراءة علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة ۝ لعلكم تشكرون
نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة
واذاقتكم الموت ۝ وظللنا وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب
يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه
وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر
الى طلوع الشمس لكل انسان صاع وبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني
فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا فظلموا بان كفروا هذه
النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه القرية بيت المقدس
وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو

باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود
عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين
ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا
متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدا محذوف
اي مسئلتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما
رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا
وقراءة ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية
ونستقر فيها فان قلت ـــــ هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا
على معنى قولوا هذه الكلمة قلت ـــــ لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب
محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء ۝ وسنزيد
المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا
كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني
انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر
مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب
اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا
بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن
طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة
في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف ۝
فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات
منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا عطشوا في التيه
فدعا لهم موسى عليه السلام بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد

والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طورى حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة
اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل سبط عين تسيل فى جدول الى السبط
الذى امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا وقيل
اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو
الحجر الذى وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى
ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله فى مخلاته واما للجنس اى
اضرب الشئ الذى يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا
اظهر فى الحجة وابين فى القدرة وروى انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست
فيها حجارة فحمل حجرا فى مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر
ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة
وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا فى ذراع وقيل
مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله
شعبتان تتقدان فى الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف
اى فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا فى قوله فتاب عليكم
وهى على هذا فاء فصيحة لا تقع الا فى كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين و
بفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التى يشربون منها
كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن
ماء العيون وقيل الماء تنبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل ويشرب
والعثى اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا فى الفساد فى حال فسادكم لانهم كانوا
متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا (اى انقلبوا) الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة و
طلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد [illegible] ارادوا بالواحد ما لا يختلف

ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل
لا يأكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما
ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما
نريد الا ما ألفنا وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى
يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول
التى يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم و
الفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اى اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود
وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذى هو ادنى هو اقرب منزلة وادون مقدارا و
الدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو دانى المحل وقريب المنزلة كما
يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد المنزلة يريدون الرفعة والعلو وقراءة
زهير الفرقبى ادنأ بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم
اى انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج و
بلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهى اثنا عشر فرسخا فى ثمانية فراسخ ويحتمل
ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والعلمية والتانيث
لسكون وسطه كقوله نوحا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه ولوطا
الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفى مصحف عبد الله وقرأ به
الاعمش اهبطوا مصر (وهو العلم) بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب
وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون فى
القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على
الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة
واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف (عليهم) الجزية وباءوا بغضب من الله

من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته اي صاروا
احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة
بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا
شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير
الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم
يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم
فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل
عندهم وقرأ علي رضي الله عنه ويقتّلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة
بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع
كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان
يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم
لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء
او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة
القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود
وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع
نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في
نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو
من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية
وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام
دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت
ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته

بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم
والفاء لتضمن من معنى الشرط ~~وقرأ علي رضي الله عنه ويقتّلون بالتشديد~~ واذ اخذنا
ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق
وذلك ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف
الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه
فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة
القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في
الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا
متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق
والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقري خذوا
ما آتيتكم وتذكّروا واذّكروا السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم
السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة
وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله تعالى ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر جوف
الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا
عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها
يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي
كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني المسخة
نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها لما قبلها
وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين
فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها

من الأمم والقرى وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بالدية فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا أتجعلنا مكان هزء او اهل هزء او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو قوله كفؤا او كفوا وقرأ حفص بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها و صفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكأنها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين تقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق

ان اردت الخطوط فقل كأنها وان اردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال اردت كأن ذاك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وتأنيثها وجمعها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ٥ ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رداني فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر

سالتني باي نوع منها ابدأه وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني
اضان ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسودا ام بيضا فاذا
امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شيء لم يحرم
فحرم لاجل مسئلته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة
كثير فاشتبه علينا ايها يذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وبادغامها
في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقراء محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه
بالياء والتشديد لولا جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم
يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا
من امر القاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب
واثاره الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية
مزيدة لتوكيد الاول لان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي على ان الفعلين صفتان
لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقراء ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى
لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان يوصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك
مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيثهم وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى
مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله
او معبر الظهر ينبي عن ولبته ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له
كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من
لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرونها وظلفها وهي في الاصل مصدر
وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشي القوائم الان جيت
بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا
البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون

استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها
وما كادت تنتهي سوالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها
لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل
شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر
وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه
حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا
البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر
بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون واوصاف فذبحوا المخصوصة
فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة
والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة
كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك
اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم
فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه
او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه
دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة
ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى
المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه
وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم فقلنا والضمير في
اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل
لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلفت في البعض
الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي

او لان الطرح

يلي الغضروف وهو اصل الاذن وصل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى
فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى وروى انهم لما ضربوه قام
باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا
وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين
حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم اياته ودلائله
على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء
نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث
واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت
هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيايه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب
والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف
واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم
من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور
من غير تفتيش وتكثير سوال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة
البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع
على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما
يتقرب به وان يختاره فتية السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق
من نظر اليه وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثماية دينار وان
الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه
لادائه الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه ان المؤثر
هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حياة
فان قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يتقدم ذكر القتيل

والضرب

والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها فقلنا
اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما
قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الايات العظام
وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين
متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما
يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الاية العظيمة وانما
قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة
واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية
استيناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها
الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته
باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى
البقرة ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها
ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان
المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الايات المعدودة
فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف
اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده
قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة
والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت
لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت
لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه اخر وهو انه لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد
وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ

قسوة

وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو
اكرم وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير
لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام
الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك
ابن دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة
يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منها
الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها
لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به
وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له
لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة ممن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما
يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم
وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به
ونهي ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان
شئتم فلا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه
بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان
كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود قالوا اي قال منافقوهم
آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا
الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم
شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين او ينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم
ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا هو

محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم
جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون
لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني
الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم
الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن
داب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤن
من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر
في نفسه ويحرز ما يتمناه وكذلك المختلق والقاري يقدر ان كلمة كذا بعد كذا
والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا
بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال
سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن
من العلم يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن
ينكر معرفة ما كتبه كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشى اياما معدودة اربعين
يوما عدة ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف
سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم
عنده عهدا فلن يخلف الله عهده ام اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن
على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان تكون منقطعة بلى اثبات
لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها
خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته
تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطياته

وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك
ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل آية نهى الله عنها واخبرك انه
من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب
الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى
الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وينصره قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة
القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون
بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له
مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما
حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا
تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان يكون ان فيه مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن
الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية
لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه
وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اي
توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم
معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضهم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل
به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق
واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه
بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم
بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان
بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون

يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول
رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل
هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون
باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم
واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون
ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة
كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا
خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا
قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير
وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ
تردون وتعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم
احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة الكتاب التوراة آتاه اياها جملة واحدة ويقال
قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني وارسلنا على
اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون
وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى
وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية
من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه
ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو
عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وايدناه وقويناه وقرئ آيدناه بالمد اذا قواه

يقال الحمد لله الذي أجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة
كما يقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص
والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل بجبرئيل
وقيل بالانجيل كما قال في القران روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى
بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق
استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم
ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك فان قلت
هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان يراد الحال الماضية لان الامر
فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم
بعد لانكم درتم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة
وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعادني فهذا اوان قطعت ابهري
غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه
مستعار من الاغلف الذي لم يختتن كقوله قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون
قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم
بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا
بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون
وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف
تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم نحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي
عن ابي عمرو قلوبنا غلف جمع غلاف مصدق كتاب من عند الله هو القران مصدقا لما معهم
من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة
قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من

عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين
كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر
الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان
نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم و
يعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح عليهم
كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به
بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر
للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا
اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم
اصليا لاتبعا
ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان
ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء
وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا
بنبي الحق عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة
وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن
بما انزل علينا مقيدا بالتوراة ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون
بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا
بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة
والتوراة لا يسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم
واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وكرر
رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاول مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به
في التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت

لهابته من حيث انه قال لهم اسمعوا لتكن سماعكم سماع تقبل و طاعة فقالوا سمعنا و
لكن لا سماع طاعة ٥ واشربوا في قلوبهم العجل اى تداخلهم حبه والحرص على عبادته
كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون
في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئس ما يامركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التورية
عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك
وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له
خالصة نصب على الحال من الدار الاخرة والمراد الجنة اى سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد
فيها سواكم حق يعنى ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ٥ دون الناس للجنس وقيل
للعهد وهم المؤمنون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى
سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روى عن المبشرين بالجنة ما روى
كان على رضى الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزى المحاربين
فقال يا بنى لا يبالى ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى
الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعنى على التمنى وقال عمار بصفين
الان الاقى الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن
النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض
يهودى بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله
وساير انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب و
كان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت لانهم
لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل ساير الحوادث وكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولى
المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس احد منهم نقل ذلك فان قلت التمنى من اعمال
القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمنى من

اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمنى
ومحال ان يقع التحدى بما فى الضماير والقلوب ولو كان التمنى بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت
في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم
حكى عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا
انهم غير مصدقين فيه وما لا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمنى من
افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمايرهم وكان الرجل
يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع
عليه ٥ والله عليم بالظالمين تهديد لهم ٥ هو من وجد بمعنى علم المتعدى الى مفعولين في قولهم
وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم قال على حياة بالتنكير
قلت لانه اراد حياة مخصوصة وهى الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من
قراءة ابى على الحياة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس
فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان
حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه
وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم
عليه لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا
باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم
بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس
لانهم يقولون لملكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زى هزار سال
وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اى ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما
منا الا له مقام معلوم ٥ والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله و
الضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار

تعميرٌ وقيل الضمير لما دلّ عليه يعمّر من مصدره وان يعمّر بدلٌ منه ويجوز ان يكون هو مبهمًا
وان يعمّر موضحه والزحزحة التبعيد والانجاء فان قلت يودّ احدهم ما موقعه قلت
هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف فان قلت كيف اتصل لو يعمّر بيودّ احدهم
قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو أعمّر الا انه جرى على لفظ
الغيبة لقوله يودّ احدهم كقولك حلف بالله ليفعلنّ روى ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك
حاجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمّن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدوّنا
ولو كان غيره لآمنّا بك وقد عادانا مرارًا واشدّها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرّبه
بختنصّر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلامًا مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان
ربكم امره بهلاككم فلا يسلّطكم وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان
يجعل النبوّة فينا فجعلها في غيرنا وروى انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممرّه
على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال
والله ما آتيكم لحبّكم ولا اسألكم لاني شاكّ في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد
وارى آثاره في كتابكم ثم سألوه عن جبريل فقالوا ذاك عدوّنا يطلع محمدًا على اسرارنا وهو
صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم ما منزلتهما من الله
قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدوّ لجبريل فقال عمر لئن كانا
كما تقولون فما هما بعدوّين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوًّا لاحدهما كان عدوًّا للآخر
ومن كان عدوًّا لهما كان عدوّ الله ثم رجع عمر فوجد جبريل سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ
جبرئيل بوزن قنديل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن
قندئل وجبرئلّ بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل ومنع الصرف فيه للتعريف
والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في نزّله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار

ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدلّ على
نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهّمكه
باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت
على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل قل ما تكلمتُ به من قولي من كان عدوًّا لجبريل فانه
نزّله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزّله جزاءً للشرط قلت
فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احدٌ من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزّل كتابًا
مصدّقًا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبّوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحّح
المنزل عليهم والثاني ان عاداه احدٌ فالسبب في عداوته انه نزّل عليك القرآن مصدّقًا لكتابهم
وموافقًا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرّفونه ويجحدون موافقته له
كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس
آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال
بوزن قنطار وميكائيل بوزن ميكاعيل وميكائل بوزن ميكاعل وميكئيل كميكعيل وميكئل
كميكعل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدوٌّ للكافرين اراد عدوٌّ
لهم فجاء بالظاهر ليدلّ على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفرٌ واذا كانت
عداوة الانبياء كفرًا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه
اشدّ العقاب الا الفاسقون الا المتمرّدون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل
الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس
قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية
فنتّبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب اوكلّما
الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البيّنات وكلّما عاهدوا وقرأ ابو السمّال
بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا

او نقضوا عهد الله مرارًا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر و
نقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ
عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة
وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبًا ولا يبالون به كتاب الله يعني التورية
لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه
بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك
رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما
يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه
ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفين ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله
ولم يحرموا حرامه واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر
والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين
كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد
دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم
الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الجن والانس
والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان
من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرًا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه
يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي
ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل وهروت وموروت
عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه
منهم وعمل به كان كافرًا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنًا

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني و
من لم يطعمه فانه مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا
ملكين ببابل وما يعلم الملكان احدًا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء و
واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدًا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من
احد فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون
سببًا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده
الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء من الله لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلاً من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن
ان تجر الى الغواية ولقد علم هولاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين على
كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرأ
الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد
وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هروت وموروت وهما اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف ولو كان من الهرت والمرت كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة بن مصرف وما يعلمان
من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسره مع الهمزة والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف
كقولهم فرج اجراء للوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة
الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قيل كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن
قلت جعل الجار جزءًا من المجرور فان قيل كيف اثبت لهم العلم اولاً في قوله
ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه
لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حيث لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم آمنوا برسول الله
والقرآن واتقوا الله بترك ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين

لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير
مما هم فيه وقد علموا لكنه جهّلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على
الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل
عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت
لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل
المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم امنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله
خير كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله
اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية
او سريانية وهو راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول
وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره
وقرأ ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا
على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج
اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم
راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا
الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل
سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما
نهيتم عنه تاكيدا عليهم بترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا
اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن
عنقه فقالوا او لستم تقولونها فنزلت وللكافرين واليهود الذين تهاونوا برسول الله
وسبّوه عذاب اليم [illegible] من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب

والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير
والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله أهم يقسمون رحمة ربك والمعنى
انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله
يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان
ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا روي انهم طعنوا في النسخ
فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم
قولا ويرجع عنه غدا وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننسأها وقرئ
ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية
او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها وهو ان يامر جبريل
بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها
ان يذهب حفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية نذهب بها ما توجب المصلحة من ازالة لفظها
وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نأت بآية خير منها للعباد اي بآية
العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير
منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها
على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما مثّل لهم انه مالك امورهم
ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان
يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما
اقترحه آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا
الها ارنا الله جهرة وغير ذلك [illegible] ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالآيات
المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل روي ان فنحاص بن عازوراء
وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا

بابدال الاخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها

ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى
منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا
اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة اما انا فقد
رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين
اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما
فنزلت فان قلت ـــــ بم يتعلق قوله من عند انفسهم قلت ـــــ فيه وجهان احدهما
ان يتعلق بودّ على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم
ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم
انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اى حسدا متبالغا
منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا واسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما
يكون منهم من الجهل والعداوة حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر
على الانتقام منهم من خير من حسنة من صلاة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله
تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل الضمير
في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين
القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم
من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا
هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل
فان قلت ـــــ كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت ـــــ حمل
الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله

فانه لما رأى

فان له نار جهنم خالدين وقراءة ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت ـــــ
لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت ـــــ اشير بها الى الاماني
المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم
كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اى تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل
هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من
التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول
الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول
لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى احضر بلى اثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره
وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه فان قلت ـــــ من اسلم وجهه كيف موقعه
قلت ـــــ يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ متضمنا لمعنى
الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اى بلى يدخلها
من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم على شيء على شيء يصح ‹اى بعض الحجة›
ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي
اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل
من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل
العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله
وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد
بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك اى مثل ذلك الذي

سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة
ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم
مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من
الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية
فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب
الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر
ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله ما منعنا ان نرسل وما منع الناس
ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها
كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط
في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون
الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا
وقيل منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت
كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس
او المسجد الحرام قلت لا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا
كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله تعالى ويل
لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع
الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا
يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين اولئك المانعون ما كان
لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب
وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا

المؤمنين

المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل
ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم
حتى لا يدخلوها الا خائفين وروي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا
مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في
العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك
ولا يطوفن بالبيت عريان وقراء عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف
الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه
كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل
فتح مداينهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب اي
بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي
مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله
اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد
الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم
من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا تختص امكانها
في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة
على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة
اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطاهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة
وقراء الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا

وقالوا وقرئ بغير واو وهو يذ الذين قالوا اتخذ المسيح ابن مريم الله وعزير ابن الله
والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو
خالقه ومالكه من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم
على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولدان يكون
من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اى كل ما في السموات والارض
ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون المطيعون عابدون مقرون
بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم
مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكأنه جاء بما دون من
تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يقال بدع الشيء فهو
بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
اى بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو
امن ريحانة الداعي السميع يعني المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اى احدث
فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن الحق
وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير
امتناع ولا توقف كما المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه
الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله
مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير
في له وقراءة المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل
من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة
وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا آية جحودا لان يكون ما اتاهم من آيات الله
آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اى قلوب هولاء ومن قبلهم في العمى كقوله

اتواصوا به قد بينا الايات لقوم يوقنون يوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان
لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم
وتصميمهم على الكفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت
جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي
روى انه قال ليت شعري ما فعل ابواى فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء
الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع
في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه
لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره
لايحاشه السامع واضجاره وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابي
وما تسأل كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا
اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله جل وعز كلامهم
ولذلك قال ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي
هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه
هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت
اهواءهم اى اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اى من الدين المعلوم
صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو اهل الكتاب يتلونه حق
تلاوته ولا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم
الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره
باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله

وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ
ابو حنيفة رضي الله عنه وهو قراءة ابن عباس ابرهيم ربه رفع ابرهيم ونصب ربه
والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت
الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعلق الضمير به اضمار قبل الذكر
قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم ربه
او ابتلى ربه ابرهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه
صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابرهيم فيه مقدم
في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا
سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابراهيم بمعنى
فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه و
ابرهيم الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده
ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد
آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل
في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال
اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استيناف كانه
قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني
جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات
ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ
قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك
والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم
الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه بثلثين سهما من شرائع الاسلام عشر في براءة

التايبون

التايبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون
وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف
والسعي والرمي والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان
وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالازار لما يؤتزر به
اي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي
كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون اي
من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان
عادلا بريئا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف لا يجوز
يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة
وكان ابو حنيفة يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي وحمل المال اليه والخروج معه
على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امرأة
اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك
وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت
وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو
لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب
ظلم والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار
يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع
امن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له
حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء
العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون
فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد

عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا نؤثره لفضله
بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل
ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر
قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام
ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه سأل المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه
الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه
قام ودعى فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي
عطفا على جعلنا اي اتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده
قبلة يصلون اليها عهدنا امرنا هما ان طهرا بان طهرا او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان
والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم والعاكفين
المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا عنده لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين
الواقفين يعني القائمين في الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين
والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي اي اجعل هذا البلد او هذا المكان
بلدا آمنا ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم من آمن منهم بدل
من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف
ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابرهيم المؤمنين حتى رد عليه
قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء
يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون
استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون

ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ
فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار لكن المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه
وقرأ ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ
ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك
فان قلت وكيف يكون تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابرهيم اي قال
ابرهيم بعد مسئلته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرأ
ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد
من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف
ضم شفر يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس و
الاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسأل الله ان
يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء
لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها
بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى
واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة
مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس و
روي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر
شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه
آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد
حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على
رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الدنيا الرابعة فهو

البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرّفه جبريل مكانه وقيل بعث
الله سحابة اظلته فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل
طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسّسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من
السماء وقيل تمخّض ابو قبيس فانشق عنه وقد خُبي فيه ايام الطوفان وكان ياقوتة
بيضاء من الجنة فلما لمسته الحُيّض في الجاهلية اسودّ وقيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله
الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله
في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا
ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت اي فرق بين العبارتين قلت
في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام
من تفخيم لشأن المبيَّن مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه
لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلّم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا
اخلاصا واذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية
على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن
للتبعيض او للتبيين لقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم فان قلت لم خصّا ذريتهما
بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة النصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان
اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المقدّمين
من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم و
قيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او
عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصّرنا متعبداتنا في الحج او عرّفناها وقيل
مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ وفخْذ وقد استرذل لان
الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقراء

ابو

ابو عمرو باشمام الكسر وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منّا من الصغائر
او استتابا لذريتهما وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له
قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم
انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم
ما يوحى اليه من دلايل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة
وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب
عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير
وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه
نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل
انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم راسه ويجوز ان يكون في شذوذ
تعريف المميز كقوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجبّ الظهر ليس له سنام
وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول
وكفى شاهدا بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب
عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل
نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطإ رأي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة
عند الله في الدارين صفوته وخيرته من خلقه في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة
على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه
اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل
اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له
اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام قال اسلمت

اى تنظروعرق وقيل اسلم اى اذعن واطع وروى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه
سلمة ومهاجرًا الى الاسلام فقال لهما قد علمنا ان الله تعالى قال فى التورية انى باعث من ولد
اسمعيل نبيًا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة
وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ومن يرغب وقرى واوصى وهى فى مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير
فى بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير فى قوله و
جعلها كلمة باقية الى قوله اننى برآء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقوله كلمة باقية دليل
على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى
يعقوب بنيه ايضا وقرى ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم
بنيه ونافلته يعقوب يا بنى على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى
لانه من معنى القول ونحو قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بكسر
الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفى قراءة ابى وابن مسعود ان
يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذى هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام و
وفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه ولا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على
الاسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل
الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع فى حال الصلاة فان قلت
فاى نكتة فى ادخال حرف النهى على الصلاة وليس بمنهى عنها قلت النكتة فيه اظهار
ان الصلاة التى لا خشوع فيها كلا صلاة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة
الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد فانه كالتصريح بقولك لا
تصل الا فى المسجد وكذلك المعنى فى الاية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت
لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول فى الامر مت
وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات والمراد

امرته بالموت اعتدادًا منك بميتته واظهارًا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها
ام كنتم شهداء هى ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى
الحاضر اى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اى حين احتضر والخطاب
للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحى وقيل الخطاب
لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبى الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله
لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف
يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل
اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعنى ان اوائلكم
من بنى اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك
فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه برآء وقرى حضر بكسر الضاد وهى لغة ①
ما تعبدون اى شئ تعبدون وما عام فى كل شئ فاذا علم فرق بما ومن وكفاك
دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولى العلم وحدهم ويجوز ان
يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير
ذلك من الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو
عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما فى سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت
بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اى لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوى
النخلة وقال فى العباس هذا بقية آبائى وقال ردوا على ابى فانى اخشى ان تفعل به قريش
ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وفى قراءة ابى واله ابرهيم بطرح آبائك وقرى
ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدًا وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو
والنون قال وفديننا بالابينا الهًا واحدًا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة
او على الاختصاص اى نريد باله آبائك الهًا واحدًا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد

او مفعول له لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية
موكدة اى ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون تلك اشارة الى الامة
المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب
غيره متقدما كان او متاخرا انكم انّ اوليك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم
الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا باوايلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم
لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسالون عما بانسابكم ولا تسالون عما كانوا يعملون
ولا تواخذون بسياتهم كما لا تنفعكم حسناتهم بل ملة ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم اى اهل
ملته كقول عدي بن حاتم انى من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم
وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اى ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته
حنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قايمة الحنيف المايل عن كل دين باطل
الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد
ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض
باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعى اتباع ابرهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين
ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اى قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله
بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد
وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه
الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد
في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه بمثل ما امنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد
لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذا دين آخر
يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان امنوا
بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة

بل م

والسداد

والسداد فقد اصابوا رشدهم او فيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه
حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير اليه هذا هو الراي
الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك
تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه ويجوز ان لا يكون الباء صلة
ويكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اى فان دخلوا في الايمان بشهادة
مثل شهادتكم التي امنتم بها وقراءة ابن عباس وابن مسعود بما امنتم به وقراءة ابي
بالذي امنتم فان تولوا عما يقولون لهم ولم ينصفوا فانما هم الا في شقاق اى في مناواة ومعاندة
لا غير وليسوا لطلب الحق في شيء او فان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله
ضمان من الله لاظهار رسول الله عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير
ومعنى السين ان ذلك كاين لا محالة وان تاخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اى يسمع ما ينطقون به
ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بمعنى يسمع ما تدعوا به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك و
موصلك الى مرادك صبغة الله مصدر موكد منتصب عن قوله امنا بالله كما انتصب وعد الله
عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى
تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده
ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم امنا بالله وصبغنا الله بالايمان
صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا
الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة
كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن
احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم من اوضار الكفر

ولو امنوا

فلا صبغة احسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على امنا بالله وهذا العطف يرد قول
من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من
فك النظم واخراج الكلام عن التيامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي
ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قل اتحاجوننا وقرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون
والمعنى اتجادلوننا في شان الله واصطفائه النبي صلى الله عليه وسلم من العرب دونكم وتقولون
لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا
في انا عباده وهو ربنا يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك
لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو
اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك
ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا
ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لان
اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة
للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكم الله ام ادعاء اليهودية
والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل
اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة قل ءانتم اعلم بامر الله
يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه
شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد
اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة
لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم
وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان

اذا شهدت له

مطلب

سيقول السفهاء من الناس

ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها الآية

اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود
لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على
الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله
ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت
فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع
لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ
لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله
المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها
الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس
واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا
خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم انطوا الثبجة يريد الوسطى بين السمينة والعجفاء
وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل
للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية ومنه قول الطائي
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتنفت بملة جمل
اعرابي للحج فقال اعطني من سطا تهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط
عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم
يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا
وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم
فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد
صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف

ويكون الرسول عليكم شهيدا

اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل
لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود
له جئ بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت
على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول
الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت
صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم
على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة
انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة
تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي
كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام
الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا الاية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك
ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة
التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه
وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه
وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء
وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه حتى نعلم الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى
عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع
العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها

من ينقلب على عقبيه الاية

اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة
او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على
الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد
لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة
واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن
عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا
فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن
ما رايك في ابي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله
وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى
العلم المعرفة ويجوز ان يكون متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار
ام عمرو وقراءة ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقراءة اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها
ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام الاصل وان هي لكبيرة كقولك ان
زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه
كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك
وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى
الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم
ومطافهم ولمخالفة اليهود وكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك قبلة
فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك
تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي
اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واظعن بالقوم شطر ملوك

فول وجهك

ان الله بالناس لرءوف رحيم الاية

حتى اذا كثر الحج

وجيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره

وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون الآية

ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب

وقرأ أبي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل
كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر
فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء
مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف
اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال
عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة
دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل
الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين
يعملون قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط
بكل آية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك
لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو من مكابرة
وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم
لأطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان
تكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم
على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون
في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل
بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر جل وعز عن تصلب كل حزب فيما
هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل
لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الايضاح

ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين

٦٧

انك اذا لمن الظالمين

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم

وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الآية

الحق من ربك فلا تكونن من الممترين

عن حقيقته حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير
بمعنى ولئن اتبعت مثلا بعد وضوح البرهان وحقيقة الامر انك المرتكبين الظلم الفاحش
وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته
ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت
بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين
باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه يعرفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص
كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سأل
عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال
لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رضي الله عنه
رأسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع
ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام
وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول
وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت
لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق وقال فريقا
منهم استثناء لمن آمن منهم ولجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدأ اي هو الحق او مبتدأ
خبره من ربك وفيه وجهان ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو
الحق من ربك وان يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه
من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت

اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر
وان يكون حالا وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق الحق
من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه
من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل
قبلة هو موليها هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله
موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة معناه وكل وجهة الله موليها فزيدت
اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضارب وقرأ ابن عامر هو
مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم
فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر
وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية
او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق
ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات المسامتة
للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم
كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت
اي ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان
هذا المأمور به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتأكيد القبلة وتشديده لان
النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين
البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط
بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون
حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا
ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت

ان الله على كل شيء قدير
وانه للحق من ربك وما الله بغافل
عما تعملون ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون
للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم
فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي
عليكم ولعلكم تهتدون

٦٨

اي حجة تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين
قلت كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة
فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه سياق
الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه
الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة
حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرأ زيد
ابن علي رضي الله عنه الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف
منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا
تخالفوا امري وما رأيته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم
وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن
علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم
نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما
ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا
لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي اموات بل احياء هم اموات بل
هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهداء عند الله احياء تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة
وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها
وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت
في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم و
لنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم

ولعلكم تهتدون

كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون فاذكروني
يا ايها الذين آمنوا استعينوا
بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله

عليه من الطاعة ويسلّمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه
وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا
صالحا يرضاه ۝ وروى انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه
راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يوذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلّل في قوله
بشيء ليوذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم وليريهم
ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم
ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف
الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض
ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملايكة
اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى
ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة و
سموه بيت الحمد ۝ والصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة
كقوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة واولئك
هم المهتدون حيث استرجعوا وسلموا لامر الله ۝ الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان
والمقطم والشعاير جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج
القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما
في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان ۝ واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف
من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعاير الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما
قلت كان على الصفا إساف وعلى المروة نايلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا

ان الصفا والمروة من شعائر
الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح
عليه ان يطوف بهما

وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عُبدا من دون
الله وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره
المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم
الجناح واختلف في السعي فمن قايل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين
الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع
خيرا كقوله فمن تطوع خيرا له ۝ ويروى ذلك عن انس بن مالك وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم
وينصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة رضي الله عنه
انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي
هو ركن لقوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع
بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ۝ ان الذين يكتمون
من احبار اليهود ما انزلنا في التوراة من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد
صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه
ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد
منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملايكة والمؤمنون من الثقلين ۝
واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم
فكتموه وبينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد
ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين ۝ ان الذين كفروا يعني
الذين ماتوا من هولاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا
وقرأ الحسن والملايكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل
في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه

فان الله شاكر عليم

الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
فاولئك اتوب عليهم وانا
التواب الرحيم

وماتوا وهم كفار اولئك عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين

قيل أولئك عليهم أن لعنهم والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس
المسلم والكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة
يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها
وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون
ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة ٥ اله واحد فرد في الالهية لا شريك له
فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ٥ لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته
الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل
ما سواه اما نعمة او منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما
فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك
فنزلت ٥ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل
واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة ٥ بما ينفع الناس اي بالذي
ينفعهم مما تحمل فيها او ينفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام
احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله
فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد وكانه قيل
وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى
فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا
وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة
وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب
والسحاب المسخر مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء ٥ لايات
لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة
وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي

لا يخفف عنهم العذاب

والهكم اله واحد

والفلك التي تجري في البحر

وما انزل الله من السماء من ماء

بين السماء والارض

٧٠

لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد ٥ ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم و
ينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله و
الخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغني عن ذكر من
يحبه لانه غير ملتبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون
بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين آمنوا اشد حبا لله لانهم
لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون
اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من
حيس عام المجاعة ٥ الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين
ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب
دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان
منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب
كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى
على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وقرئ اذ
يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة ٥ اذ تبرأ بدل
من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد
الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ٥
ورأوا العذاب الواو للحال اي تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على
تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب

لانهم

ولو يرى

اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب

اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب

والمجاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء
وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا
الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الإراء
الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل ارى
ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم
بخارجين من النار هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم
يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين
فيما اسند اليهم لا على الاختصاص حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من
كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال
او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كلما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات بضمتين
وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على
الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة
ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ
على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به انما يامركم
بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم
بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه
والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا
حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان
الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر
تقولوا
بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم
له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن اذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن
خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
اشتهت لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم

٧١

لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون
قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى
وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى
الرد والتعجيب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب
بما لا يسمع الا دعاء
ولا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين
كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء
الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق
بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه
شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي
لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف
وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر
الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على
حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان
قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت
يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل
انعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا
صم بكم عمي فهم لا يعقلون
واما نغق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته
يا ايها الذين آمنوا كلوا من
لان كلما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون
ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى اني والجن والانس لفي نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري

ان الله غفور رحيم

انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه

قرئ حرم الله على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم أهل به لغير الله اى رفع به الصوت للصنم وذلك قول الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الفهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال والاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة قال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم في بطونهم ملء بطونهم تقول اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسأوا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن يريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب و

ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم

يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة

والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا ليس البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن على تاويل حذف المضاف اي بر من آمن او بتاويل البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله تعالى او القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل
على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوى
القربى لانهم احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان لانها
صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح واطلق ذوى القربى واليتامى
والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له
كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له
كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين
المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفى الرقاب
وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل فى
فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال فى هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكاة
فهل دل ذلك على ان فى المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبى ان فى
المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكاة او
يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفى الحديث نسخت الزكاة كل صدقة يعنى وجوبها
وروى ليس فى المال حق سوى الزكاة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا
على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر فى الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال
وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة
والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين فى الدين عن عمر بن عبد العزيز
والحسن البصرى وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعى ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر
لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الآية ويقولون هى مفسرة لما ابهم فى قوله النفس بالنفس ولان تلك
واردة لحكاية ما كتب فى التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن
سعيد بن المسيب والشعبى والنخعى وقتادة والثورى وهو مذهب ابى حنيفة واصحابه انها

واقام الصلوة واتى
الزكوة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا
والصابرين فى البأساء و
الضراء وحين البأس
اولئك الذين صدقوا و
اولئك هم المتقون

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
القصاص فى القتلى الحر بالحر و
العبد بالعبد والانثى بالانثى

منسوخة

منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى و
يستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر
فى الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروى انه كان بين حيين من احياء
العرب دماء فى الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر
منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفى له من اخيه شئ معناه فمن
عفى له من جهة اخيه شئ من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة
من السير ولا يصح ان يكون شئ فى معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به
الا بواسطة واخوه هو ولى المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولى
الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة
او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية
والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفى له
قلت يتعدى بعن الى الجانى والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه
قال الله تعالى عفا الله عنك وقال الله عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت
لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما فى الآية كانه
قيل فمن عفى له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت
عفى بترك حتى يكون شئ فى معنى المفعول به قلت لان عفا الشئ بمعنى تركه
ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى فان قلت فقد
ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محى له من اخيه شئ
قلت عبارة قلقة فى مكانها والعفو فى باب الجنايات عبارة متداولة
مشهورة فى الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة

نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه
للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة
يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار
بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفى عنه بعض
الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن
اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي
القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل
بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية
تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم
العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت
هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن
اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد
اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به
فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب
الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله صلى الله عليه وسلم لا اعافي احدا قتل
بعد اخذه الدية ج ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان
القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة
بتعريف القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص
حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب
حتى كاد يفني بكر بن وايل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم
التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة واي حيوة او نوع من

الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا
هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان
القصاص سبب حياة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حياة اي فيما قص عليكم
من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حياة للقلوب لقوله
روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء
الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص
والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة اذا حضر احدكم الموت اذا دنا
منه وظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية
وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك
فقال ثلثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا
لشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة
فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل
كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله
فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام نسخت باية المواريث
وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي
الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول
الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث
بحكم الايتين وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله
من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر
ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم ولا ينقص من انصبائهم
بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر

مؤكدًا اى حق ذلك حقًا فمن بدّله فمن غيّر الايصاء عن وجهه ان كان موافقًا للشرع
من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدّلونه فما اثم الايصاء
المعتبر او التبديل الا على مبدّليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لانهما بريئان
من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدّل فمن خاف فمن توقّع وعلم وهذا فى كلامهم شايع
يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقّع والظن الغالب الجارى مجرى العلم
جنفًا ميلًا عن الحق بالخطاء فى الوصية او اثمًا او تعمّدًا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم
وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله
تبديل باطل الى حق ذكر من يبدّل بالباطل ثم من يبدّل بالحق ليعلم ان كل
تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى
عهدكم قال على رضى الله عنه اوّلهم آدم يعنى ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى
الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها
لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصى لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها
من مواقعة السوء قال صلى الله عليه وسلم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون
فى زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم فى عدد الايام وهو شهر
رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرًا قبله وعشرًا بعده فجعلوه
خمسين يومًا وقيل كان وقوعه فى البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم فى اسفارهم
ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يومًا كفارة لتحويله عن وقته وقيل
الايام المعدودات عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم
ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احلّ لكم
ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم
تتقون اياما معدودات

واصله ان المال القليل يقدّر بالعدد ويتحكّر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب
اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدّة فعليه
عدّة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدّة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان
يفطرا ويصوما عدّة من ايام اخر واختلف فى المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض
لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان
يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه فى رمضان وهو ياكل فاعتلّ بوجع
اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض
يضجعه فقال انه فى سعة من الافطار وقائل هو المرض الذى يعسر معه الصوم و
يزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعى رضى الله عنه لا يفطر حتى يجهده
الجهد غير المحتمل واختلف ايضا فى القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابى عبيدة بن
الجراح رضى الله عنه ان الله لم يرخص لكم فى فطره وهو يريد ان يشق عليكم فى قضائه ان
شئت فواتره وان شئت ففرّق وعن على وابن عمر والشعبى وغيرهم انه يقضى كما فات
متتابعا وفى قراءة ابى فعدّة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل
فعدّة على التنكير ولم يقل فعدّتها اى فعدّة الايام المعدودات قلت لما قيل
فعدّة والعدّة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤخذ
عدد على عددها فاغنى ذلك عن الاضافة التعريف وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين
للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من برّ او صاع
من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مدّ وكان ذلك فى بدء الاسلام فرض عليهم
الصوم ولم يتعوّدوه فاشتد عليهم فرخّص لهم فى الافطار والفدية وقرأ ابن عباس
يطوّقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اى يكلّفونه او يقلّدونه ويقال
لهم صوموا عنه يطوّقونه بمعنى يتكلّفونه او يتقلّدونه ويطّوّقونه بادغام التاء فى الطاء

فمن كان منكم مريضا او على
سفر فعدّة من ايام اخر
و

وعلى الذين يطيقونه فدية
طعام مسكين فمن تطوّع خيرا
فهو خير له وان تصوموا خير لكم
ان كنتم تعلمون

ويُطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يُطَيْوَقُونه ويَتَطَيْوَقُونه على انهما
من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدَيّر المكان
وما بها ديّار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او
يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار و
الفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه
اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية
فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن تطوع بمعنى يتطوع وان
تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم
من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا في قراءة
ابي والصيام خير لكم الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه
الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة
الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر
رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من
حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته
وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا
الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه
جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا
من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال
بما أعيا النطاسيّ حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل
القرآن او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف
وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه

شهر رمضان

شهر رمضان الذي

الذي انزل فيه القرآن

مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر
وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن وهو
قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل
لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل
وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين
الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت
ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق
والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر
فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر و
الشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة
لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد
نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما
رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على
المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر
بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة و
لتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر وامر المرخص بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر
فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج
عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك
لا يكاد يهتدي الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف

هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا العدة كقوله يريدون ليطفؤا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو تكبير عند الاهلال فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله واقع اهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع

وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان

فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون

أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن

لانه لا يكاد يخلوا من شيء من ذلك فان قلت لم كنى عنه ها هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمنه معنى الافضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة مثل الاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأه الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخطين ابيض واسود قال ابو داود فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفي به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من

علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم

وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا

الاستعارة ام من باب التشبيه قلت ـــــ قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك
رايت اسداً مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت ـــــ لم زيد من الفجر حتى صار
تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة
قلت ـــــ لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر
من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا و
خرج عن ان يكون استعارة فان قلت ـــــ فكيف التبس على عدي بن حاتم مع
هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي
فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا تبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت
غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك
لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار وسواد الليل قلت ـــــ
غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به
على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشد ثني بعض البدويات لبدوي
عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه
فان قلت ـــــ فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم
ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض
والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر
فعلموا بذلك انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه
العبث حيث لا يفهم منه المراد وليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه
قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذا الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت ـــــ
اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب
ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث

لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا
الصيام الى الليل فالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل
الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان
تحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل
لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة
والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا
اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على
ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا
في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلثه وقيل في مسجد جامع والعامه على انه في مسجد جماعة
وقراء مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها
فلا تغشوها فان قلت ـــــ كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد
حدود الله قلت ـــــ من كان في طاعة الله والعمل بشرايعه فهو متصرف في حيز
الحق فنهي عن ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي
ان يقرب الحد الذي هو الحاجز من حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل
وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع
فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه
ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها
ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من
اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان

ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد

كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون

[illegible]

يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها
واتقوا الله لعلكم تفلحون الاية

المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون
الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء
من حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فان ما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد
منهما حقي لصاحبي اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل
وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم
داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان لقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على
الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ روي ان
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون
على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم
ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير
ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم
حائطا ولا دارا ولا فسطاطا فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل
ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل
لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت
ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة
في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله جل وعز لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة
لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء
وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت
للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم
فيه كمثل من يترك باب الدار ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان
البيت

تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله
ثم قال وأتوا البيوت من ابوابها اى وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها
ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة
وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال
من الاتهام لمقارنة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد
لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين
وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هو اول اية
نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف
او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والرهبان والصبيان
والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في
حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون
ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت
واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك
ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان
والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجأة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث
وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف
سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود
من حيث اخرجوكم وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة
اشد من القتل اى المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل
لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من

الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا
على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك
اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين
فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم
بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا
تبالوا بقتالهم ومن قرأ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم
لوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك
والقتال لقوله ان تنتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا يكون فتنة اى شرك ويكون
الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع
على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة
كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين
فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة
فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام
بالشهر الحرام اى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا
حرمته عليكم والحرمات قصاص اى كل حرمة يجري فيه القصاص من هتك حرمة
اى حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم
نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم في
اتقوا الله في حال كونكم منتصرين فمن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم الباقي بايديكم
مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى لا تقبضوا التهلكة ايديكم اى لا تجعلوها
آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم

كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله
لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفتقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال
والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين
حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه
نحن اعلم بهذه الاية وانما نزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه
المشاهد وآثرناه على اهلينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت
الحرب اوزارها رجعنا الى اهلينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة
الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة و
الهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله
ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة
ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوها على انها مصدر من هلك
فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله ائتوا
بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم
فيهما قال تمام الحج ان تنتهي المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها
كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك
روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما
سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان
تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت
هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما
واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما
امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل

دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحوه لك فيقال لك فقد دل الدليل
على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير
لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان
لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت
بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة
مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في
الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك
على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه
بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل
الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيهما فهما بمنزلة قولك
صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تامره بفرض وتطوع وقراءة علي وابن مسعود
والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم
يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا
في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول
وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او منع منه فقيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه
محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك
قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة كل منع عنده من عدو كان او مرض
او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من
الهدي فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي
جمع هدية كما يقال في جدي السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية

ومطي

ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل
ما استيسر من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدي المحصر قلت
ان كان حاجا فبالحرم في ايام النحر يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار وان
كان معتمرا فبالحرم في كل وقت وما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر
او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤوسكم الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى
تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله او مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل
الدين وقت وجوب قضايه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه فان قلت فان
النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف الحديبية
الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه
في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان
منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة
فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف
صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك
اذاك هوامك قال نعم قال احلق راسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة
وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الآية وروي انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا
اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن
او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة
فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها
الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما
عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي وهو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة
فيأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا ياكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده

يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره
ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة والافضل ان يصوم يوم التروية
وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم وعند الشافعي لا تصام الا بعد
الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال
الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرأ ابن ابي عبلة وسبعةً بالنصب عطفا
على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فان قلت
ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين
الا ترى انهما لو جالسهما جميعا او واحدا كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا
ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين
فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد آخر وفيه زيادة
توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام
بامر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من
الهدي وفي قراءة ابي فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة
واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان
عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم
نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب
عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعند اهل
الحرم ومن كان من الحرم على مسافة تقصر فيها الصلاة واتقوا الله في المحافظة على حدوده
وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون
علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى الحج اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران
والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع

٢١

ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج
بهذه الاشهر قلت ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد
ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت كيف
كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل
قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذا وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة
اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا او على عهد
فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما
وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة
غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان
يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتني
حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب
عمر جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا
يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن
فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة
وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام او لا فسوق
ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا
مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب
في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد
بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب
والرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين
على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء

الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف
في المشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه
سنة وهو النسئ فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع
الخلاف في الحج واستدل على ان المنهى عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال لقوله صلى الله
عليه وسلم من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال
وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان
القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه ويعضده
قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اى اجعلوا زادكم الى الآخرة واتقاء القبائح
فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن
حجاج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا
الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي
يا اولى الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فلانه لا لب له
فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب
يتأثمون ان يتجروا بايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشرا فلم يقم لهم
سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل
كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت
معايشهم فيها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم
يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكرى في هذا الوجه وان قوما
يزعمون ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سالت فلم يرد
عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له

قيل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة عن الحج وقراءة
ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا اى ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة و
هو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما
ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران
وهو محرش بعيره بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف
سمى بالجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيه سببان التعريف والتانيث
قلت لا يخلوا التانيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد والتي
في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث ولا يصح تقدير التاء
فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المونث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التانيث
في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمونث كتاء التانيث فابت تقديرها
قالوا سميت بذلك لانها وصفت لابرهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل
ان جبريل حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى
فيها آدم وحوا فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك
وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف من الاسماء الاجناس الا ان يكون جمع
عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن
النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك العرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله
بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء
المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر
الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان و لا
وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر

وهلّل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر
الحرام وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر
او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم الرحمة المشعر ومتصلة به عند المشعر
والمشعر المعلم لانه معلم لعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه
نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت
المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حوا وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة
لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى
الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه
لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف
تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن
افاضتكم من حيث افاض الناس ولا يكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع
على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان
حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم
قلت نحو موقعها احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت
ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غير الكريم وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند
الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب
والثانية خطاء وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى
بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناسي بكسر السين اي الناسي وهو
آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من العرفات شرع
واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم

فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم
فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا
اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعدّدون فضائل
آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف
اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في
موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل
المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من
بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا
من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له
في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما لهذا الداعي في
الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين
في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب
وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب
النار امراة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا
اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب هو المنافع الحسنة
او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم
منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي
الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم
ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا
والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا واذكروا الله في ايام معدودات
اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة

عددهم وكثرة اعمالهم ليدل ذلك على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه
تحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار
لمحة الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات
وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى
يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر — فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين
يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك — ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى
في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لاجل المتأني
في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس — واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون
واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي
ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى
في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة
وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا
قلت دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كانه قيل فتأخروا او تعجلوا فان
قلت أليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل
كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا
فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم
عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج
المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثاما في الاقدام
عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند
الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج

ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا —
وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون
وجه الله من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم
في النفس والاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى
الله عليه وسلم الان له بالقول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق
وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت
بم تعلق قوله في الحيوة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان
ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد
بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم فكلامه اذن في
الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك
ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في
الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله
شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي
ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان
بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام
المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة
وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا
تولى واذا تولى عنك وذهب بعد الالانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض
ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة — ويهلك الحرث و[illegible]
السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله
بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على — والله لا يحب الفساد
ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وفي قراءة الحسن بفتح اللام وهي لغة

واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد

خوانى يانى وروى عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته
بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اى حملته العزة التى فيه وحمية الجاهلية على الاثم
الذى ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلى عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ

ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد يا ايها الذين امنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين

يشرى نفسه يبيعها اى يبذلها فى الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
حتى يقتل وقيل نزلت فى صهيب ابن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا
نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم
فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رؤف بالعباد
حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرا الاعمش
بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اى استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج منكم
احد يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا بنبيهم وكتابهم
او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث
كما تؤنث الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها
جرع على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا فى الطاعات كلها وان لا يدخلوا فى طاعة دون
طاعة او فى شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشئ منها وعن عبد الله بن سلام
انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا من التورية
فى صلوته من الليل كافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان
زللتم عن الدخول فى السلم من بعد ما جاءتكم البينات اى الحجج والشواهد على ان
ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام
منكم حكيم لا ينتقم الا بالحق وروى ان قاريا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابى
فانكره ولم يقرا القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران
عند الزلل لانه اغراء عليه وقرا ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ظللت

هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة

... اتيان الله اتيان امره وباسه كقوله او ياتى امر ربك فجاءهم باسنا
ويجوز ان يكون المأتى به محذوفا بمعنى ان ياتيهم الله بباسه او بنقمته للدلالة
عليه فان الله عزيز فى ظلل جمع ظلة وهى ما اظلك وقرئ ظلال وهى جمع ظلة كقلة
وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة
وبالجر عطفا على الظلل او على الغمام فان قلت لم ياتيهم العذاب فى الغمام
قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول
لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب
كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة
من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الخير ومن ثمة اشتد على المتفكرين
فى كتاب الله قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضى الامر واتم امر اهلاكهم
وتدميرهم وفرغ منه وقرا معاذ بن جبل وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على
الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير
فيهما سل امر للرسول او لكل احد وهذا سؤال تقريع كما يسال الكفرة يوم القيامة
كم اتيناهم من اية بينة على ايدى انبيائهم وهى معجزاتهم او من اية فى الكتب شاهدة
على صحة دين الاسلام ونعمة الله اياته وهى اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى
والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم
فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا ايات
الكتب الدالة على [دين] محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت كم استفهامية او خبرية قلت
يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته
قلت من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه
لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل

الغيث صح

وقضى الامر والى الله ترجع الامور

سل بنى اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب

بالتخفيف المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها
اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله تعالى قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها
واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراة من قرا زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا على البنا للفاعل ويسخرون من الذين امنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين
الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها
ويسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة
لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في
هوان او هم عالون عليهم متطاولون ويضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا
ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء
بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما
وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي
استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياوه المؤمنون احق بها منكم فان
قلت لم قال من الذين امنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد
عنده الا المؤمن المتقي التقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان
الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا
فبعث وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي
قراة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا والدليل عليه قوله تعالى وما كان
الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله
النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة
متفقين على الحق قلت عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بين آدم وبين نوح
عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة

وانزل

وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب
او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه من الحق في دين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد
الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل
لازالة الاختلاف اي ازدادوا الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب
سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم
على الدنيا وقلة انصاف منهم من الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله
الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
التقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف
على النبيين بعد مجي البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر
مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم
له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع
وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين
خلوا احالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا
قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا
شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية
التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر
حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه
الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا تقادر
قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك
الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني
فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على

الضراء

اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولهم شربت
الابل حتى تجي البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية فان قلت
كيف طابق الجواب السوال في قوله قل ما انفقتم من خير وهم قد سالوا عن بيان ما ينفقون
واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه
وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا
ان تقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن
ابن عباس انه جا عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فاراد ان ينفق فقال ماذا
ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة
وعن الحسن هي في التطوع وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا اما
ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال
وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز
بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرا السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف
والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم
له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى
ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه وان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله
يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه
عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد
عير قريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين
واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه
من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف
ويتذعون فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك
على

٨٨

على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة
والمعنى يسالك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال
من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن
منهم وقرا عكرمة عن قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال
في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان
يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدا والاكبر خبره يعني وكبائر قريش من
صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فان قلت كيف صح العطف قبل الفراغ من
المعطوف عليه وقد منعوا ذلك قلت وكفر به في معنى الصد عن سبيل الله
فاتحادهما والذي سوغ ذلك كانه لا فصل كانه وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام
هذا وجه والوجه الآخر موضع قوله وكفر به عقيب قوله عن المسجد الحرام الا انه قدم
لفرط العناية عليه كما في قوله كما في قوله لم يكن له كفوا احد كان من حق الكلام ان يقال
ولم يكن احد كفوا له الا انه قدم لم يكن له لفرط العناية كذا ههنا وكفرهم بالله واخراج
اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته
السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبنا على الظن والفتنة الاخراج
والشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله والجوز ان يعطف على الهاء في به
ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقوله فلان يعبد الله حتى
يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم
كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به

ومن يرتدد منكم عن دينه ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على ردته الى
فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم باحداث الردة
مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام واستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة
وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة
رضي الله عنه انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا روي ان
عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم
فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هو اخيار هذه الامة ثم
جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون انه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر
اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة
قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما
اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا وسكروا وقام بعضهم الى الصلاة وقرا فيها قل يا ايها الكافرون
اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم
دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة
فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شافيا فنزلت انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الى قوله فهل انتم منتهون
فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها
منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلاء لم ارعه وعن ابن عمر
رضي الله عنهما لو ادخلت فيه اصبعي لم يتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله
حتى

وهو كافر

فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون

٨٩

حتى تغلبه والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك
نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلظ واشتد ذهب
خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب
عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي ان
اقول مرة هو حرام ولان اخر من السماء فانقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه
قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت
الخمر خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرها اي
وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر
من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر
لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سبب يساره
وعن ابن عباس رضي الله عنه كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم
بالشعب اذ ييسرون بني اي يفعلون في ما يفعل اليسر بالميسور فان قلت كيف
صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام والاقلام الفذ والتوام والرقيب
والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل
واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل
ثمانية وعشرين الا ثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم في الدنيا سهام
ليس فيهن ربيح واسامهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوام سهمان وللرقيب
ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في
الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم
رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به
ذلك القدح ومن خرج له قدح ما له نصيب لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله

وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون
من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج
وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر
العجم وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شي فيه
خطر فهو من الميسر والمعنى يسالونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما
وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب
فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم
واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي
واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيه الاثام من وجوه
كثيرة العفو نقيض الجهد ومنه ان ينفق ما لا يبلغه انفاقه منه الجهد واستفراغ
الوسع وقال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة العفو
قرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب
اصابها في بعض مغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر
فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او
عقره ثم قال يجي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى في الدنيا والاخرة اما ان يتعلق بيتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون
فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح لكم من
الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتوثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان
يكون باشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في
الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق

سس

بيبين على معنى يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم
والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فنزل
اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم
وتعاشروهم ولا تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة
على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم باصلاح وافساد
فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله
لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم وقرأ طاوس
قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الاصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها
على اللام وكذلك ولا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم
ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تزوجوهن
او ولا تتزوجوهن والمشركات الحربيات والاية ثابتة وقيل المشركات الوثنيات والكتابيات
جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة ثابتة لم ينسخ منها شي قط وهو قول
ابن عباس رضي الله عنه والاوزاعي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد
بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في
الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا
فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره
فنزلت ولامة مؤمنة والمراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك والعبد مؤمن
لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة يعجبكم ويحبونها

فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اى يدعون
الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكونوا بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة
والقتال والله يدعو الى الجنة يعنى واولياء الله وهم المؤمنين يدعون الى الجنة والمغفرة
وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومواصرتهم وان لا يؤثروا على غيرهم
باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذى يستحق به الجنة والمغفرة وقرا الحسن
والمغفرة باذنه بالرفع اى والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض مصدر يقال حاضت
محيضا كقولك جا مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اى الحيض شى مستقذر يؤذى
من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعنى فاجتنبوا
مجامعتهن روى ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها
ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها فى بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ
المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله
البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان
استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى
كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن فى كل شى فامر الله
بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف فى الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف
رضى الله عنهما يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن رحمه الله عليه لا يوجب الا
اعتزال الفرج روى محمد حديث عايشة رضى الله عنها ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر
الرجل امراته وهى حايض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء
وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سال النبى صلى الله عليه وسلم ما يحل لى من امراتى وهى حايض
قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابى حنيفة رضى الله عنه

ودبا

وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عايشة رضى الله عنها انها قالت يجتنب شعار الدم
وله ما سوى ذلك وقرى يطهرن بالتشديد اى يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن
وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع
الدم وكلتا القراتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة رضى الله عنه الى ان له ان يقربها
فى اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفى اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل
او يمضى عليها وقت صلاة وذهب الشافعى رضى الله عنه الى انه لا يقربها حتى تطهر
وتتطهر فيجتمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن من حيث امركم الله
من الماتى امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر
منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين من الفواحش
او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين
من جميع الاقذار كمجامعة الحايض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير
ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى
فى ارحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم
تمثيل اى فاتوهن كما تاتون اراضيكم التى تريدون ان تحرثوها من اى جهة
شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اى شق اردتم بعد
ان يكون الماتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم
الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه
واشباهها من كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتادبوا بها
ويتكلفوا مثلها فى محاوراتهم ومكاتباتهم وروى ان اليهود كانوا يقولون من
جامع امراته وهى مجبية من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه

من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل
التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا
ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح
وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت
هو تفسير موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى
الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا او ازالة للشبهة ودلالة
على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا
من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت ما بال يسألونك جاء بغير واو
ثلث مرات ثم مع الواو ثلثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في
وقت في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال
مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل
يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا
وعن كذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهو اسم ما تعرضه
دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا
منه يقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني عرضة
للوائم ومعنى الآية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة الرحم
او اصلاح ذات البين او الاحسان لاحدهم يقول اخاف الله ان احنث في يميني
فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا
لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي
هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما تحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
عطف

عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح
بين الناس فان قلت بم تتعلق اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله
لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى
لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق
ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم عرضة لان تبروا
ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به
ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف
مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف
مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا فلا يدخل في وساطتهم
واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك
قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي
لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله
هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي رحمه الله
هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل
لواحد سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة
وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم
بالظن ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين
وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم
اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما
كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده

والله غفور حليم حيث لم يواخذكم باللغو في ايمانكم وقرا عبد الله آلوا من نسائهم
وقرا ابن عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى
بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من
نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك
لي منك كذا والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على
التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى
عن ابرهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطي ان امكنه او بالقول
ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان
مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي رضي الله عنه
لا يصح الايلاء في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق
وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان
فاؤا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب
ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضا منهن اشفاقا
منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان
عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم
وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة فان
قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت
موقع صحيح لان قوله تعالى فان فاؤا وان عزموا تفصيل للذين يولون من نسائهم
والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم
الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع
عليم وعزم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق

وترك

وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه
ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان
والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت كيف جازت
ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس
صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت
ما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام
ولتتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه
مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر
عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة
فكانما وجدت الرحمة عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل توكيد
ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل
يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر
الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه
فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان
يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص
والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة
ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران
وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة
اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي
في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرا به الارحام دون الطهر
ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرات المراة اذا حاضت

وامراة مقرئ قال ابو عمرو بن العلا دفع فلان جاريته الى فلانة تقريها اي
تمسكها عندها حتى تحيض للاستبرا فان قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن والطلاق الشرعي انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما
تقول لقيته لثلث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلث وعدتهن الحيض الثلث فان قلت
فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسايكا قلت اراد لما ضاع فيها
من عدة نسايك لشهرة القرء عندهم في الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي
تعتد فيها النسا استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب
والغارات وانه تمر على نسايه مدة كمدة العدة ضايعة لا يضاجعهن فيها
واراد من اوقات نسايك فان القرء والقارئ جا في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا
ولا طهرا فان قلت فعلام انتصب ثلثة قروء قلت على انه مفعول به
كقولك المحتكر يتربص الغلا اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على انه ظرف
اي يتربصن مدة ثلثة قروء فان قلت لم جا المميز على جمع الكثرة دون
القلة التي هي الاقرا قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين
مكان الاخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس
كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقرا فاوثر عليه تنزيلا
للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرا الزهري ثلثة
قرو بغير همزة ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت
المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها فتها استعجالا للطلاق
ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن
به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن
بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن وان من امن بالله وبعقابه لا يجتري

على

على مثله من العظايم والبعول جمع بعل والتا لاحقة لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة
ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق
بردهن برجعتهن وفي قراة ابي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت
كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنسا حقا فيها قلت المعنى ان الرجل اذا اراد
الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق لا ان لها حقا في
الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا
مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم
عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم
ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد
بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه
اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال
درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله
الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام
بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون
الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى
ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي
يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون
بين ان يمسكوا النسا بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن
السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة
بعد الثلث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها

مراجعة يريد تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث

وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال او تسريح باحسان

وعند ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم الجمع بين التطليقتين والثلث بدعة والسنة

ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها

لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا باس بارسال الثلث لحديث العجلاني الذي لاعن

امراته فطلقها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا فلم ينكر عليه وروي

ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت

تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله لا انا

ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعتب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره

الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته في عدة

فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان اصدقها

حديقة فاختلعت منه وهو اول خلع كان في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في

قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود

الله وان قلت للايمة والحكام فهولاء ليسوا باخذين منهن ولا بموتيهن قلت

يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج واخره للايمة والحكام ونحو ذلك

غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للايمة والحكام لانهم الذين يامرون

بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والموتون مما اتيتموهن مما

اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان

ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز

المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها

فيما

فيما اعطت فيما افتدت به فيما فدت به نفسها واختلعت منه من بذل ما

اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم روي ان

امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلثا

ثم دعا بها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال

لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله وهذا اذا كان النشوز

منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء

للمفعول وابدال ان لا يقيما حدود الله من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف

زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وبعضده قراءة

عبد الله الا ان تخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن

يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن فان طلقها الطلاق

المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان

طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح

زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كما التزوج

ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو

سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عايشة

رضي الله عنها ان امراة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة

طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة

الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى

تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت

انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت

حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال

قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما
قبض ابو بكر رضي الله عنه قالت مثله لعمر رضي الله عنه فقال ان اتيتني بعد
مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط
التحليل قلت ذهب سفين والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى
انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة رضي الله عنه مع الكراهة وعنه انهما
ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لعن الله المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه انه قال لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما
وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني
ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما
انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب
عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى
لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد
وانما يظن ظنا فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على
المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي اليه اجل
وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية
وقال انتهى امده ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه
ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل
لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له
عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن
باحسان واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن
ضرارا كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها

لا

لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل
لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله
هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها
هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا
والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا
نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل
عليكم فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم
بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من
الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب
به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار
حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وهو في جابر بن عبد الله حين عضل بنت
عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد
منهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه اعضلت
الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة وان قصائدي
لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي
دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء
بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة
رضي الله عنه انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت
لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ولكل احد ونحوه ذلكم خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر من ادناس الآثام وقيل ازكى واطهر
افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكا والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما
تستصلحون به من الاحكام والشرايع وانتم تجهلونه يرضعن مثل يتربصن في انه
خبر في معنى الامر المؤكد كاملين تاكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه
فيقول اقمت عند فلان حولين ولم يستكملهما وقرا ابن عباس رضي الله عنه ان يكمل الرضاعة
وقرى الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل
تشبيها لان بما لتآخيهما في التاويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله قلت
هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك بيان للمهيت به لك هذا الحكم لمن اراد
اتمام الرضاعة وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد
ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت ينقص منه بعد ان لا
يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان
ولده يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد
دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك
ولا تجبر ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة رضي الله عنه ما دامت زوجة له او معتدة
من نكاح وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان
قلت فما بال الوالدات مامورات بان يرضعن اولادهن قلت اما ان يكون
امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم
توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار وقيل الوالدات المطلقات وايجاب
النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في
محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون
الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون

اليهم

اليهم لا الى الامهات وانشد للمامون بن الرشيد فانما امهات الناس اوعية
مستودعات وللآباء ابناء فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن
ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله
واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف
تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا
وقرى لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرى لا تضار بالرفع على الاخبار
وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر
بفتحها وقرا لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرا الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل
للبنائين ايضا ويبين ذلك انه قرى لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى
وكسرها وقرا ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن
الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف
كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف
به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط
في شان الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا
تضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من
رزقها وكسوتها ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع
وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن
ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى
تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده
ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضار الوالد به بان

ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف
قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد
استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد
وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير
للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود
له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان
يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب
الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند
ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة رضي الله عنه من كان ذا رحم محرم منه وعند
الشافعي رحمه الله لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد
والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه
وانه ان مات ابوه ورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال
فان لم يكن له اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين
من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور
فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد
وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما
اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال
الصبي وقرئ فان ارادا استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبي
واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته
الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين
للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك

ح

حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع
ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى
شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب
الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من
الهناء ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان
الصبي واحتياطا في امره فامر بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم
اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند
تسليم الاجرة مستبشري الوجه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس
المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون
منكم على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن
وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون
بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى
ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي
بكسر الفاء فقال الله عز وجل وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه
على ان امره بان يضع كتابا في النحو يناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة
ايام وقيل عشرا ذهابا الى الايام والليالي داخلة معها ولا تراهم قط
يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت
خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ان لبثتم

الا يوما واذا بلغن اجلهن واذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة
وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعريض للخطاب بالمعروف
بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على
الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم هو ان يقول
لها انك جميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر
امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس
نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك
او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عبد الرحمن بن سليمان عن خالته
قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام
فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد
فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي
سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يده
حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت
اي فرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان يذكر الشيء بغير
لفظه الموضوع له والتعريض ان يذكر شيئا يدل به على شيء لم يذكره كما يقول
المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا
وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على
الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم
واضمرتم ما في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين

علم

علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن
ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة
قوله ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن
لا تواعدوهن سرا والسر كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر
قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا ثم عبر
به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا
قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت
بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة
او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون
استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه
لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول ان نكاحك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما
تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا من غير رفث وافحاش في الكلام وقيل
لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما
يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة وعن ابن عباس رضي الله عنه
الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان تواعدها الا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة
النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة
في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان
عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت
الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم

من العزم على ما لا يجوز فاحذروه واعلموا انه غفور حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن
ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا
وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة الغير المدخول بها ان سمي
لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة
والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم
فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار
على حسب الحال عند ابي حنيفة رضي الله عنه الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها
الاقل من نصف المهر ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم
فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره ومقداره
الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدْر والقدَر
لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم
لها ثم طلقها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا
لا تجب المتعة الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن
بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا
اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه الا
ان يعفون يريد المطلقات **فان قلت** اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنسا
قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون
ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على
محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن اخذ النصف

ولا

فلا تطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي
فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الذي بيده عقدة نكاحهن وهو مذهب الشافعي
رحمه الله عليه وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب
ابي حنيفة رضي الله عنه والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها
نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها
استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها
او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها
قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل
على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث
اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده فقيل
فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل والفضل التفضل ولا تنسوا اي يتفضل بعضكم
على بعض ولا تتناسوا ولا تستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان ن
الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرا ابو نهيك
وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلوة الوسطى اي الوسطى
بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات
لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب
شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وهي الصلوة التي شغل
عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب
لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى امليها عليك كما سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وروي
عن عايشة رضي الله عنها والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو وعلى هذه القراءة

يكون التخصيص لصلوتين احدهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب
على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال
الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضي الله عنه هي صلوة الظهر لانها في وسط
النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة
اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلوتي
الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لانها وتر النهار ولا ينقص
في السفر من ثلث وقرا عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرات عائشة
رضي الله عنها والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرا نافع
الوصطى وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين لله في قيامكم والقنوت ان
تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد
هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة
هاب الرحمن ان يمد بصره او يقلب الحصى ويحدث نفسه من امور الدنيا
فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو
جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا
بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة رضي الله عنه
لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي رضي الله عنه
يصلون في كل حال والراكب يومئ ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم
فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا
امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع
وكيف تصلون في حال الامن وفي حال الخوف تقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية
الذين يتوفون او حكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل

وصية

وصية لازواجهم وفيمن قرا بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية
كقولك انما انت سير البريد اي تسير او والزم الذين يتوفون وصية ويدل
عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرا
ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية
الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب
بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك
عمرا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول
او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين
يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا
كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول
الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا
المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع او الثمن واختلف في السكنى
فعند ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من
التزين والتعرض للخاطب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف
نسخت الاية المتقدمة الاية المتاخرة قلت قد تكون الاية متقدمة في
التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى
تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عمم المطلقات بايجاب المتعة لهن
بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا
على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية
والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب

والمستحب جميعًا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة ألم تر تقرير لمن سمع بقصتهم
من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من
لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روي ان اهل
داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله
ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم
حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه
واصابعه تعجبًا مما رأى فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى
فنظر اليهم قيامًا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من
بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرًا من الموت فاماتهم الله ثمانية
ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل
عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع آلف
كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم الله
وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة واحدة بامر الله ومشيئته
وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوا امتثالا من غير اباء ولا
توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين
على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر
فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به
ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل
على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم
البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثًا على الجهاد ما اتبعه من الامر
بالقتال في سبيل الله واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون

علم

عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب
ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا
كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض
ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة
بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لنبي لهم هو يوشع او شمعون
او اشمويل ابعث لنا ملكًا انهض للقتال معنا اميرًا نصدر في تدبير الحرب
عن رايه وننتهي الى امره وطلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال
اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل
قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا
مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل
وقرئ يقاتل بالياء والجزم وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا
تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم
عن القتال فادخل هل مستفهمًا عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام
التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله هل اتى على الانسان
معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا ان لا نقاتل
واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر
وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين الا قليلا منهم قيل
كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد
لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود

وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف
به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت
الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق
عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشما لاها رخمانا رخيما لبسم الله الرحمن الرحيم
فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى
كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له **فان قلت** ما الفرق
بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت **قلت** الاولى للحال والثانية لعطف جملة
على الجملة الواقعة حالا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك
وانه مقتر ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت
في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد
السبطين ولانه كان رجلا سقا او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله
حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها
الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا
من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة
بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وغيرها وقيل
قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد وان يكون من اهل العلم فان الجاهل
مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملا العين جهارة لانه اعظم في النفوس
واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد
يده فينال راسه يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من
يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة

من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك التابوت صندوق التورية
وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه وكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا
يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد
او ياقوت لها راس كراس الهرة وذنب كذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت
نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن
علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض
وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به
تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية اصطفاء الله طالوت وقيل كان مع
موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل
غلبهم عليه الكفار وكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم
ببلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا بسبب هذا التابوت بين اظهرنا فوضعوه
على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كانت من خشب الشمشاد
مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت
التابوه بالهاء وهي لغة الانصار **فان قلت** ما وزن التابوت **قلت** لا يخلو من ان
يكون فعلوتا او فاعولا لقلة نحو سلس وقلق لانه تركيب غير معروف فلا يجوز
ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع
فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه
فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه
بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من
تاء التانيث وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ
تحمله بالياء **فان قلت** من آل موسى وآل هرون **قلت** الانبياء من بني يعقوب بعدهما

لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي ابن يعقوب فكانا اولاد يعقوب الهما
ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون وآل مقحم لتفخيم شانهما فصل عن موضع كذا
اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى
صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون
فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده
بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر
مشتغل بالتجارة ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار
ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوه ان يجري الله لهم نهرا فقال
إن الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه
من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه
بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن
لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم
ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد
مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت
باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون
فان قلت مم استثني قوله الا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس
مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون
في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون معناه الرخصة في اغتراف
الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا اي فكرعوا فيه الا قليلا
منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ الحسن والاعمش

١١

الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم
العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه
الا قليل ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كانه قيل لم يبق
من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا
والذين امنوا يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم
لقاء الله وايقنوه او والذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله
والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة
لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا كانهم تقاولوا بذلك
والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به
وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت
شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد
وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما تثبت به في
مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب
كان ايشي ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم
وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشي هو الذي يقتل جالوت
فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان احملني
وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه
طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب فاتاه الله الملك في مشارق
الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنوا اسرائيل على ملك قط قبل داود
والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغيرها
ولولا دفع الله ولولا ان الله يدفع الناس بعضا ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب

المفسدون وفسدت الارض وتعطلت مصالحها وقيل لولا ان الله ينصر المؤمنين
على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لولا يدفعهم
بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض تلك آيات الله يعني القصص
التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية
التي هي نزول التابوت من السما وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي
لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها
من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة
الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم
الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله
بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه
ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم
في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم
لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى
الف آية واكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا على سائر ما اوتي الانبياء لانه
المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله
واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز
الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي
تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه
وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت
الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد

الجز تلك الرسل

ابرهيم

ابرهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في
المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته
وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السما وقلنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي
لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم
بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر قلت لما
اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه
التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان
هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر
في باب التفضيل وهذا دليل بين على ان من زيد تفضيلا بالآيات
منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها
ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان المشهود له باحراز قصبات
الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله
مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم في الدين
وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن
لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا
كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة انفقوا مما
رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان ياتي
يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى
تبتاعوا فيه ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم

ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات
لان الشفاعة ثمّ في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون
الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في اخر اية الحج ومن كفر مكان
ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحي الباقي الذي
لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر
والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة
ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان
اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اي لا تاخذه نعاس
ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوماً ومنه
حديث موسى انه سال الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام
ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلثاً ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين
مملوتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا
ثم اوحى اليه قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او
نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لملكوته وكبريائه
وان احداً لا يتمالك يوم القيامة الا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا
من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا
من الملائكة والانبياء من علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما علم الكرسي
ما يجلس عليه فلا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة
اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وما هو الا
تصوير

تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما
قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة
شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع
علمه وسمي العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع
ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسياً
هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن
الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤوده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ
السموات والارض وهو العلي الشان العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف
ترتبت الجمل في اية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي
واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط
بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه
بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساهٍ عنه والثانية لكونه مالكاً
لما يدبره والثالثة لكبر شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه
بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه
وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره فان قلت لم فضلت هذه
الاية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه
الاية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة
اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها
وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا اية الكرسي
في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها

الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره
وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال
لهم علي رضي الله عنه اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد وسيد الفرس سلمان وسيد
الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي
قلت فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده
وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكراً له كان افضل
من ساير الذكر وبهذا تعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة علم اهل
العدل والتوحيد فلا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها
محسدة لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن
على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً
افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء ربك لقسرهم على الايمان ولكنه
لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من
الكفر بالدلايل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان
والاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم
المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال
بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده
والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم
هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل
الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري
من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه

ويؤمن بالله
لا انفصام لها والله سميع عليم

ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي
النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا اي اراد ان يؤمنوا تلطف
بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا
على الكفر امرهم على عكس ذلك او والله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في
الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى
نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت الشياطين يخرجونهم من نور
البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر تعجيب من محاجة
نمرود في الله وكفره ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج
لان آتاه الله الملك على ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج
لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على
ان آتاه الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني
احسنت اليه يريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان
ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله
الملك **فان قيل** كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر **قلت** فيه قولان آتاه
ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط
فلا وقيل ملكه امتحاناً لعباده واذ قال نصب بحاج او بدل من آتاه
اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفو عن القتل واقتل وكان
الاعتراض عتيداً ولكن ابرهيم عليه السلام لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه
فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر عليه فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول
شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وفي فبهت

يخرجهم من الظلمات
الى النور

يخرجونهم من النور الى الظلمات
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
الم تر الى الذي حاج ابرهيم
في ربه ان آتاه الملك اذ قال
ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت
قال انا احيي واميت قال
ابراهيم فان الله ياتي
بالشمس من المشرق فات
بها من المغرب فبهت
الذي كفر والله لا يهدي
القوم الظالمين

الذي كفر اي غلب ابرهيم الكافر وقرأ ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل
وقيل كانت هذه المحاجة بعد ما كسروا الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه
من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت
او كالذي معناه او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما
كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت الذي
حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث لانتظامه مع
نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل عزير او الخضر
اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم وقوله انى يحيي
اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي
والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها
الالوف وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم بنا
على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس
فقال قبل النظر يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم
وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين
والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية
او هاء السكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو
وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحما المسنون
فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يكر
عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة
وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ ابي لم يسنه
بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت

وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته
وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ
طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه
بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه
فقال هاتوا التورية فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون
في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التورية ظاهرا احد
قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب
فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام وهي عظام الحمار
او عظام الموتى الذي تعجب من احيائها كيف ننشرها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها
من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ ننشزها بالزاء بمعنى نحركها
ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله
على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني
امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم
على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم فان قلت فان كان المار كافرا كيف يسوغ
ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا
فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب
به من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت
ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال
وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز
معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا مجال

فيه للتشكيك فان قلت بم يتعلق اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره
سألت ذلك ارادة طمانينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا
وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن
اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على
الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فصرهن بضم الصاد
وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره
ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل
من الجبال التي بحضرتك في ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة
ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات
في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه
بعد ان يأخذها قلت ليتاملها ويعرف اشكالها وهيآتها وحلاها لئلا
تلتبس عليه بعد الاحياء ولذلك قال يأتينك سعيا وروي انه امر ان يذبحها
وينتف ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على
الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير
الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى راسها
وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم
شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد
من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله تعالى
ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء
ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل
واحدة

واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر
فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن
والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها
هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فان قلت
هلا قيل سبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله ثلثة قروء من وقوع
امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها
اضعافها لمن يستوجب ذلك المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه
اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها
ولبعضهم وان امرءا اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم
صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن ومنها طعم الآلاء احلى من المن
وهي امر من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازال اليه ومعنى ثم اظهار
التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق
كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت
اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن ههنا
معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة
على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد
جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل
مغفرة من الله بسبب الرد الجميل وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا
عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه
بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلة العقوبة

وهذا تسخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله رئاء
الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله
ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب
صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا
من التراب الذي عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء
مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب
على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا
يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي
ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق وتثبيتا من انفسهم
وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس
من سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ارتضت بالتحامل
عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها
في اتباعه لشهواتها فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز
ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق
المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن
اخلاص قلبه هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية
كقوله حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم
عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد
وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل
ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي
ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء

في

في زكاتها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها
لان الشجر فيها اذكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت
اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها
وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله
بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل كما ان كل واحد
من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان
يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم
وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين
الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي
تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة
لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند
ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله
اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه
انه سأل عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس
في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب
مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله الشيطان
فيعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله
من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان
احدهم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال
جنة من نخيل واعناب ثم قال فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما
كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية

على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد
بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين
من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر
قلت الواو للحال لا للعطف معناه ان يكون له جنه وقد اصابه الكبر وقيل
يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه
ايود احدكم لو كانت له جنه واصابه الكبر من طيبات ما كسبتم من خيار
مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت
هلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب
والمخرج من الارض قلت معناه من طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر
الطيبات ولا تيمموا الخبيث لا تقصدوا المال الردي منه تنفقون تخصونه
بالانفاق وهو في محل الحال وقرا عبد الله ولا تاموا وقرا ابن عباس رضي الله عنه
ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتاممه سواء في معنى قصده ولستم باخذيه
وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه
وتغضوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال
للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم
وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرا الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى
وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرا قتادة
تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل
الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه
حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر
وشراره فنهوا عنه اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم

ان

112

ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في
الخير والشر قال الله تعالى وعدها الله الذين كفروا ويامركم بالفحشاء ويغريكم
على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمامور والفاحش عند العرب
البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا ان يخلف
عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل
به والحكيم عند الله العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله
الحكمة وهكذا قرا الاعمش خيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي
اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد
به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في
سبيل الله او نذرتم من نذر في طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه لا يخفى
عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون
اموالهم في المعاصي او لا يوفون بالنذر او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم
من الله ويمنعهم من عقابه ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى
فنعما هي اي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم
والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن
عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما
كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف
باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل
ونكفر وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ

محذوف اى ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتداة او مجزوما عطفا على محل
الفا وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله تعالى
او للاخفاء ونكفر بالتاء مجزوما ومرفوعا والفعل للصدقات وقرا الحسن بالياء
والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم ليس عليك
هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذية
والانفاق من الخبيث وغير ذلك ما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن
الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا
من خير من مال فلانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم
بالتطاول عليهم وما تنفقون ليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله لطلب ما عنده فما
بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف
اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على
احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي
مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم
من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وقد
كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض الحكماء
لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة
رضي الله عنه صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره للفقراء متعلق بمحذوف
والمعنى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز
ان يكون خبر مبتدا محذوف اى صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله
هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل
هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في
المدينة

المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل
ويرضخون بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فراى فقرهم وجهدهم فطيب قلوبهم
فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا
بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من
اجل تعففهم من المسالة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجوه ورثاثة الحال الالحاف
الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه
اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الحيي
الحليم المتعفف ويبغض البذي السآل الملحف ومعناه انهم ان سالوا سالوا بتلطف
ولم يلحوا وقيل هو نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره
يريد نفي المنار والاهتداء به بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات
والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاها
ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر
وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة
دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت
في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة رضي الله عنه كان اذا مر بفرس
سمين قرا هذه الآية الربوا كتبت على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان

الشيطان تخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استوا كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه وكذلك جن الرجل ضربته الجن ورايتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجايب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروع تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم ولا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى رجل ما لا يساوي درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جي به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يواخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شي فلا تطالبوه ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرا ابي والحسن

فمن

112

ويهلك

فمن جاءته يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقات ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اتقوا وذروا ما بقي شرطوا على الناس من الربوا او بقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روى انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشي اذا علم به وقرى فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرا الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرا عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرى ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرى فنظرة بسكون الظاء وقرا عطا فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها الى ميسرة الى يسار وقرى بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرى بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تع واقام الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل

وان علم كانه لا يعلم وقرئ تقصد فوتحقيق الصاد وعلى حذف التاء يرجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ
يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرا عبد الله تردون وقرا ابي تصيرون وعن ابن عباس انها
آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدا
وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات اذا تداينتم اذا داين
بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك
قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين
مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واى حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت
اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين
فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت
ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او
الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان
وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس رضه ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح
وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق
بكاتب صفة له اى كاتب مأمون على ما يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب
ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين
بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا ياب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى
تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله واحسن
كما احسن الله اليك اى ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية
وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اى فرق بين الوجهين قلت
ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب
تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل
الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود

على ثباته في ذمته واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه
من الحق شيئا ولا ينقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيّا بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله
بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه
لعيّ به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان
غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن
بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين
من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه
لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة
شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل
وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون
ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما ان لا تهتدى احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق
اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اى ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا
لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب
منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار
فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط
فادعمه واعددت السلاح ان يجيء العدو فادفعه وقرئ فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد
فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احداهما على الشرط على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير
فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا
الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة
كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت كنى بالسأم عن الكسل لان
الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج
ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا

على اى حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يخلوا بكتابته
الى اجله الى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه فى معنى المصدر اى ذلكم
الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا
واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بنى افعلا التفضيل اعنى اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب
سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى
ذى قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة
وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه
من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس
ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم فى التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هى
الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة
كبيت الكتاب بنى اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اى اذا كان اليوم يوما
واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا كان او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى
يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على ان الاشهاد
كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هى عزمة من الله
ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر
بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهى الكاتب والشهيد
عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهى عن الضرار بهما
بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من البلد
وقرا الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه من الضرار فسوق بكم وقيل وان تعملوا
شيئا مما نهيتم عنه على سفر مسافرين وقرا ابن عباس وابى كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت
الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا ابو العالية كتبا وقرا الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذى يستوثق به
رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط

السفر فى الارتهان ولا يختص بالسفر دون حضر وقد رهن رسول الله درعه فى غير سفر قلت ليس الغرض
تجويز الارتهان فى السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل
الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد
وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا فى حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره
وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين
بعض المديونين لحسن ظنه به وقرا ابى فان اومن اى آمنه الناس ووصف المديون بالامانة والوفاء
والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذى اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن
به وآمنه منه وائتمانه له وان يؤدى اليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو
مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او بياء فتقول
الذئتمن او الذيتمن وعن عاصم انه قرا الذتمن بادغام الياء فى التاء قياسا على اتسر فى الافتعال من اليسر وليس
بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهى فى حكم الهمزة واتزر عامى وكذلك ريا فى رؤيا آثم قلبه آثم خبر ان
وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه ياثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم
والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هى الآثمة لا القلب
وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه
لان اسناد الفعل الى الجارحة التى يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته
عينى ومما سمعته اذنى ومما عرفه قلبى ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التى
ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم فى اصل نفسه وملك
اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان
القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من
افعال سائر الجوارح وهى لها كالاصول التى تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات
الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له
بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله

عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر
منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس
وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها
فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن
قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين على جواب الشرط ومرفوعين
على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام
لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس
بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط
قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم
كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا
رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان
والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول و
المؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ
كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل
اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت
كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية في الجموع لا
يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد
في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك
منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله
بالسكون الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع
فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله

يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج
اكثر من حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير
ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب
والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة
به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا اعتمال
فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطاء ان فرطنا فان قلت النسيان والخطاء متجاوز عنهما
فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطاء والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط
والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما
يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت
تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطاء فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون
به كانه قيل ان كان النسيان والخطاء مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطاء والنسيان ويجوز ان يدعو
الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذي
يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع
النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد
فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك للنقل
حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات ~~على تفريطهم في المحافظة~~
عليها وقيل النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما
نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع
من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا
او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا
التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلعم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة
قد فعلت وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي

وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء
الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة وعن علي رضه خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره
رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة وسورة
المجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم
انه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلعم السورة التي تذكر فيها البقرة
فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم
واما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها
وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج
لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذف تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن
قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها
حركت لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم
وداود واسحاق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم
لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا
الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة
ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا
بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير و
ليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر قلت هذه القراءة
على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتورية والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما
من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة

وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب
وانزل التورية والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك
الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع
من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق
بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها الله كانه قيل بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين
الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا
داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل
بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام
له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع
على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ
طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت اذا جعلته اثلة اي اصلا وتأثلته
اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه نبه
بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات أحكمت عبارتها
بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل
الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر
بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس
به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا
ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء
والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج
معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن
المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب
ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة
المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى معتقده وقوة في ايقانه الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع

فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق
المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم وتضليلهم
وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم
اي الا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه
وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون
المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون
كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هولاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه كل
من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي
لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل
ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرا عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرا ابي ويقول الراسخون
لا تزغ قلوبنا لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك
بعد ان لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرى لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء
على رفع القلوب جامع الناس ليوم اي لجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرى جامع
الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقول الكرام الجواد
لا تخيب سائله والميعاد الموعد وقرا علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهو من الجد في استثقال
الحركة على حروف اللين من الله من قوله من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن يغني
عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد
منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه
قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرى وقود بالضم بمعنى اهل وقودها
والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلعم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الداب مصدر
داب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل
تقديره داب هولاء الكفرة كداب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف
بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم

تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف
كداب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا بآيات الله تفسير لدابهم بما فعلوا وفعل بهم على
انه جواب سوال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركوا مكة ستغلبون يعني يوم بدر
وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى
وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله
بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل
ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب
فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرى سيغلبون ويحشرون بالياء
كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون فان قلت اي فرق بين
القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر
الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه
اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم
هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي
عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا
عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء
اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان قلت فهذا مناقض
لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم
كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف
الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم
تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الاية وقيل يرى المسلمون المشركين
مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله وان يكن منكم مائة
يغلبوا الفا ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف

وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرا ابن مصرف يُرَوْنهم على البناء
للمفعول بالياء والتاء اى يُريهم الله ~~يؤيد بنصره~~ ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة
بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا راى العين
يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما ايّد
اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس المزين هو الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما
على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زَيَّنَ للناس على تسمية الفاعل وعن
الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها حب الشهوات جعل الاعيان
التى ذكرها شهوات ~~كان الشهوة مسترذلة~~ مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد
تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على
نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس
ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على
ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير
قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء
وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة
وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة او المطهمة او المرعية
من اسام الدابة وسوّمها والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة للذين
اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل
ادلك على رجل عالم عندى رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص
المتقين لانهم هم المنتفعون به وترتفع جنات وتنصره قراءة من قرا جنات بالجر على
البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا
وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة
للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها
وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة

والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة والله عنده حسن المآب قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد

الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان
السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شهد الله شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة
التى لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسى وغيرهما
بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولى العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما
بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده
من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو
الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءنى زيد
وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءنى زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة
او على المدح فان قلت أليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا
معاشر الانبياء لا نورث انا بنى نهشل لا ندعى لاب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة كقولك
وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلى ويأوى الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل
السعالى فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفى كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت
لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل
شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة
لا تستدعى ان يكون في الجملة التى هى زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك
وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه
على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولى العلم كما دخلت
الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفى كانه قيل شهد
الله والملائكة واولو العلم انه لا اله الا هو وانه قائما بالقسط وقرا عبد الله القائم بالقسط على
انه بدل من هو او خبر مبتدا محذوف وقرا ابو حنيفة رحمه الله قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان
مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعنى انه العزيز الذى لا يغالبه اله آخر
الحكيم الذى لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولى العلم الذين عظمهم هذا التعظيم
حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته

شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط

وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين
بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام
جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التكيد قلت فائدتها ان قوله لا اله
الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه وقوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن
ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه
ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن
على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحتين على ان الثاني بدل من الاول كانه
قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين
الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما
اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات
كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله ان لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله الاسلام وهي
مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على حال من المذكورين قبله
وبالرفع على هم شهداء لله فان قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولو العلم
قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو
قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره
بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله
الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل
والذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد
والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالوا كنا احق بان يكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا
تجوير لله بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب
الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطأون
اعقابهم لا لشبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد حيث آمن به بعض وكفر بعض
وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل

وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم
ومن يكفر بآيات الله فان الله
سريع الحساب

١٦١

وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عم حين احتضر استودع سبعين حبرا من بني اسرائيل
وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد
ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم
في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت
وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعو الها معه يعني
ان ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي يثبت عندكم صحته كما ثبت عندي وما جئت بشيء بدع
حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى
المحاجة فيه ومن اتبعني عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون
مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم
من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة
فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف
طريقا الا سلكته هل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وعلا فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن
الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا
تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان
وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص
الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى
الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه
على طريق الهدى قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرأ عبد الله وقاتلوا
وقرأ ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم
وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح
رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر

فان حاجوك فقل اسلمت
وجهي لله ومن اتبعن و
قل للذين اوتوا الكتاب
والاميين ءاسلمتم فان
اسلموا فقد اهتدوا وان
تولوا فانما عليك البلاغ
والله بصير بالعباد

ان الذين يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير حق و
يقتلون الذين يامرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب اليم

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء

بمعروف وينهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول
النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم
عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة
في الدنيا والآخرة فلان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان
قلت لتضمنها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء
فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء اوتوا نصيبا من
الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او
حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التورية
ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله دخل مدارسهم فدعاهم فقال نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين
انت فقال على ملة ابرهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا
وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القران لانهم قد علموا انه كتاب الله
لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون
قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي
بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو
التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم
يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم
على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم
في دينهم ما كانوا يفترون من ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم
فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم
يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع
بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على
رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس

اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين

الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون

ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون

فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

كما تقول ثلاثة انفس تريد ثلاثة اناسي الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض
خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته
في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك
من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء
النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل ان
رسول الله صلعم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات
هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلعم خط الخندق
يوم الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فخرج من بطن الخندق صخرة كالتل
العظيم لم تعمل فيه المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة
صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر المسلمون وقال
اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور
الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة
على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور
الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا
فنزلت فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان الكلام وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين
وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله
من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة
بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه
رزقه بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب
ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني
جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم نهوا ان يوالوا الكافرين

لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك
في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون
بالله الآية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين
يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك
فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني
انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان
قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة
الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية وقيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم
ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة
ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول
عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه
بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن و
ينتصب تقاة وتقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من
ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما
في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر
على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات
متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص
بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد
على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العذاب ولو علم بعض عبيد
السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا
وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه
الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم

يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من
سوء تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا

اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي
يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله
امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت
على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان يكون
ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان يكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت
لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت
لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها
محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني
مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصيه الله ونسوه والامد المسافة كقوله
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون
عنه والله رؤوف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة
بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن
الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذور العلم وقدرته مرجو سعة
رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم محبة الله العباد ولله مجاز عن ارادة نفوسهم
اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم
والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته
يرضى عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم
تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت
من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف
ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا انه تصور في نفسه
الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق
على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملأوا

طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان
يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح
فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من
كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل و
تصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن
الرومي لما تؤذن الدنيا من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس
كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا
مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما
ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه
لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب
الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة
وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة
في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب
قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق
بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر
فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون
مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن
وهو الاختصاص ويجوز ان يكون بمعنى فتقبلها فاستقبلها كقوله تعجل بمعنى استعجل وتقضاه
بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي
وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها
في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة
عليها بما يصلحها في جميع احوالها وغيره وكفلها زكريا بوزن وعملها وكفلها زكريا بالتشديد

١٢٤

القاء ونصب زكرياء والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وتؤيدها
قراءة ابي واكفلها من قوله فقال اكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ
الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا
لها قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس
ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب
وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا
كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط وكان نجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف
وفاكهة الصيف في الشتاء انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا
وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله
فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي عم انه جاع في زمن قحط فاهدت له
فاطمة رضها برغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق
فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلعم انى لك هذا فقالت هو
من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة
نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته
عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة رضي الله عنها على جيرانها والله يرزق من
جملة كلام مريم رضي الله عنها او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او
تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد
عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال
مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد امها حنة
في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت امها كذلك وقيل لما رأى
الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء
مجيبه فنادته الملائكة وقيل ناداه جبرئل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله

فاهدت له

ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول اولان النداء نوع من القول وقرئ يُبْشِرُكِ ويُبَشِّر من بشره وابشره ويَبْشُر بفتح اليآء بَشَرَه ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمى عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والسيد الذى يسود قومه اى يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه لم يرتكب سيئة قط ويا لها من سيادة والحصور الذى لا يقرب النسآء حصرا لنفسه اى منعا لها من الشهوات وقيل هو الذى لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روى انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا او كائنا من جملة الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين انى يكون لى ولد استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون كذلك اى يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اى على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات آية علامة اعرف بها الحبل لا تلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذى طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك

الرمز ليس من جنس الكلام [illegible] صح

منها فلقيني فرد بن ترجف روانف اليتيك وتستطارا معنى الامتزاز كما يكلم الناس الخرس بالاشارة ويكلمهم والعشى من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ الابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت لما ادى المؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمى كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا يا مريم روى انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او الهاما لنبوة عيسى عليه السلام اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلوتك مع المصلين اى في الجماعة وانظمى نفسك اى في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نباء زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام يعنى ان ذلك من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي الاستماع من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينيا انه ليس من اهل السماع والقرآءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قرآءة ونحوه وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التى طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التى كانوا يكتبون بها التورية اختاروها للقرعة تبركا بها اذ

يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها فان قلت انهم يكفل به متعلق قلت محذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الما فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من اذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابنا ينسبون الى الابا لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نسا العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى به مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلثه اشيا والاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز عمن سواه فجميع هذه الثلثه وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين بشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة بالشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السما وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبيا من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبا فيها الانبيا ومن بدع التفاسير ان قولها رب ندا لجبريل

يعني

١٢٦

بمعنى يا سيدي ونعلمه عطف على نبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا وقرا عاصم ونافع ويعلمه باليا فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي يابى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له ارسلت باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي لان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرا اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشي المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرا عبد الله فانفخها قال كالهبرقي تنحى بنفخ الفحما وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير روي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كان يداويهم الا بالدعا وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبي لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ولاحل رد على قوله باية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليكم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لكم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا

من الطين كهيئة الطير

ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حَرُم عليهم على تسمية
الفاعل وهو ما بين يدي من التورية او الله عز وجل او موسى عليه السلام
لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرُم بوزن كرم
جئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهو قوله ان الله ربي وربكم
لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل
من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا القول
آية من ربه قلت لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول
كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون
تكريرا لقوله جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء
والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك
وقرئ وجئتكم بايات فاتقوا الله لما جئتكم من الايات واطيعون فيما ادعوكم
اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه
كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية على ان الله ربي
وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم
ما يدرك بالحواس الى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل
من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف
حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اي
انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات
الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا
يبكنا الا الكلاب النوابح وفي رواية الحوالي وهو كبير الحيلة انما طلبوا منه
شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم
وعليهم

وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون
بالوحدانية وقيل مع امة محمد صلى الله عليه وآله لانهم شهداء على الناس ومكروا
الواو لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله
غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى
قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث
لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك اي مستوفي
اجلك الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث
صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته
وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الان وقيل متوفي نفسك بالنوم
من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ
وانت في السماء آمن مقرب فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة
وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف متبعوه مع المسلمين لانهم متبعوه في اصل الاسلام
وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى
فاحكم بينكم تفسير للحكم قوله فاعذبهم فيوفيهم اجورهم وقرئ فنوفيهم
بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه
ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون ذلك
بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر
يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه
ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى ان شأن عيسى وحاله الغريبة
كشأن آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى
بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة اب ولا ام فلذلك حال عيسى بلا اب

كيف شبّه به وقد وجد هو بغير اب وآدم وجد بغير اب وام **قلت** هو مثيله
في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالآخر من تشبيهه به ان المماثلة
مشاركة في بعض الاوصاف لانه شبّه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة
المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة
من الوجود من غير اب فشبّه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة
شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال
لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيى
الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا
كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه
من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه
خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدا محذوف
اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله ان
يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات في الطمانينة وان يكون لطفا لغيره
فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات
الموجبة للعلم تعالوا هلموا والمراد المجيء بالراي والعزم كما تقول تعال تفكر في هذه
المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه
الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة
بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله
اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء
تجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع
وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله
لقد

لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل
من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن
فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا
الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي
خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران
يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا
تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القسم
راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة
فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا
بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا
على ان نؤدي اليك الفي حلة في صفر والفا في رجب وثلثين درعا عادية من حديد
فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى
الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي
الله عنها خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين
فادخله ثم فاطمة ثم علي رضي الله عنهم ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك
امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء **قلت** ذلك آكد في الدلالة
على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده
واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه
حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استيصال ان تمت المباهلة وخص

الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب
دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعاين في الحروب لتمنعهم
من الهرب ويسمون الذادة عنها حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه
على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها
وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان
واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف
انهم اجابوا الى ذلك ان هذا الذي قص عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق وقرئ
بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف عضد
وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدا والقصص الحق خبره والجملة
خبر ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها
على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدا منه واصلها ان تدخل
على المبتدا ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله
في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم
بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما
كانوا يفسدون يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل
يهود المدينة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية والانجيل
وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان
كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل
من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح
ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم

يا رسول

يا رسول الله فقال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن
الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة
بسكون اللام وقرا الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا عن التوحيد
فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا
بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني
انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا
بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره زعم كل فريق من اليهود والنصارى
ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان
اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم
وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفا سنة فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث
الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حيث تجادلون مثل هذا الجدال المحال
ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة
مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم
انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ولا ذكر له في دينكم من دين ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هو انتم على الاستفهام
فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين
وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به ثم اعلم بانه بريء
من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم اراد
بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم
اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا
النبي خصوصا والذين آمنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء

في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم ودت طائفة
هم اليهود وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب
يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما
يضلون امثالهم من اشياعهم بآيات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون
بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وتشهدون
اعترافهم بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا
وانتم تعلمون انها حق قرئ تلبّسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبَسون
بفتح الباء اي تلبَسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو
بالمجد ارتدى وتأزرا وجه النهار اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك
فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول
النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل
كتاب الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر رجلا
من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار
من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا
علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه
فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة
قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل اليه من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها
في اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد
رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض
اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا
اسرّوا

اسرّوا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه
الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا
يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم
لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة
بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت ما معنى الاعتراض قلت معناه
ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان
ذلك لم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم وتصديقكم عن المسلمين والمشركين
وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام
عند قوله الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان
ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه
لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد
والتعجب والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم
ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أان يؤتى احد فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم
على هذا قلت معناه ودبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به
عند كفركم من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان
يؤتى خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى
يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى على ان
النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا
لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم
ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا

الا لمن تبع دينكم انكاراً ان يؤتى احد مثل ما اوتوا عن ابن عباس رضي الله عنه من
ان تامنه بقنطار عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفاً ومائتي اوقية
ذهباً فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من
قريش ديناراً فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة
عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائماً
الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكياً عليه بالمطالبة
والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء
والوصل بكسرها من غير وصل وسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر
التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه
لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق
الينا عتاب وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا
بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من
خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالاً من قريش
فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا
انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب
اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى
البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال
اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك
باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم
تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك
في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين

اى

اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت
بلى مسدها والضمير في بعهده راجع لمن اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه
واتقى في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يتخيل انه لو وفى اهل
الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم لو وفوا
بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول
مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف
كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان
الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر
واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت قام عموم المتقين
مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب
ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه
من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به
ولننصرنه ثمناً قليلاً متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي
رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى
كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله
قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيراً كثيراً فقالوا لعله شبه
علينا فرويداً حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا
قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن
قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف

على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت
في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي عليه ما لم يعط والوجه ان نزولها
في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم
مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان يريد نفي اعتداده
به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم قال الطيبي اي فرق بين استعماله فيمن
يجوز النظر اليه وفيمن لا يجوز قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد
بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد
والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان
مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وان منهم لفريقا هم كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب
يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة بالتشديد كقوله
لووا رؤوسهم وعن ابن كثير ومجاهد يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة
همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها قال الطيبي الام يرجع
الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم وهو المحرف ويجوز
ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا تلك الشبه من الكتاب وقرئ
ليحسبوه بالياء يعني يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب . ويقولون
هو من عند الله تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل
بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التوراة
هكذا وقد انزله الله على موسى كذبا لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم
من الاخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة
وكتبوا كتابا وبدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة

ما

٢١٢

ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى
وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نأمر بغير الله عبادة
فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم
بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا
نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم الحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن
يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني
ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين
مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء
معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم المعلم بما كنتم بسبب كونكم دارسين
للعلم اوجب ان يكون قوة الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة
عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في
جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه
بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون
تقرؤون وقرئ تدرسون من التدريس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون
بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون
من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب
بينه وبين ربه منقطع حيث لم تثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته ولا
ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتأكيد
معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء
الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم

ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا
يستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح
فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس
بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء وقبل لله والهمزة في ايامركم للانكار
بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان
يسجدوا له ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق
على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى
الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي
وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل
على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم
كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون
ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن
لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد
جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن
به وقرئ لما آتيناكم وقرا حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم
بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية
والفعلان معها اعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على
معنى اخذ الله ميثاقهم ليؤمنن بالرسول ولينصرنه لاجل ان آتيتكم الحكمة
وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز

ان يكون

ان تكون ما موصولة فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيناكم وهو قوله
ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق
لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما آتيناكم فكانه قيل للذي آتيناكموه
وجاءكم رسول مصدق له وقرا سعيد بن جبير لما آتيتكم بالتشديد بمعنى
حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم
الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان
والنون المنقلبة ميما لادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه
لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي
وقرئ اصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار
الذي يعقد به وهو ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع
اصار فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم
من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع بشهادة الله وشهادة
بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد
فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفار دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة
جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت
الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون
وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار
الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام
وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك

فنزلت وقرئ تبغون بالتاء ويرجعون بالياء وهي قراءة ابي عمرو ولان الباغين هم
المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة
والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على
بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا آمنا
بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال يعني طائعين ومكرهين امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل
وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر
نبيه **فان قلت** لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها
بحرف الانتهاء **قلت** لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل
فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله
قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول ياتيه الوحي على طريق الاستعلاء
وياتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك
الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون
مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا
يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين وقعوا
في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام وهو في الارض
كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم
على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول
حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة البينات والله لا يهدي القوم الظالمين
وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين
عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من الشاهد وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا

١٢٤

عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحرث
بن سويد بن الصامت **فان قلت** علام عطف قوله وشهدوا **قلت** فيه
وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى
فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان تكون
الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي القوم
لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم الا الذين تابوا من
بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح وقيل في
الحرث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
توبته ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم
ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا برسول الله صلى الله عليه
بعد ما كانوا مؤمنين به قبل مبعثه ثم ازدادوا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت
وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم المؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل
آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم
بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة **فان قلت**
قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل
توبتهم **قلت** جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا يقبل توبته من الكفار
هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا
مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم **فان قلت** فلم قيل في احدى الآيتين
بغير فاء وفي الاخرى فلن تقبل **قلت** قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط
والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام

اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم

لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون

مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل
المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان معنى
فلن تقبل توبتهم نفي الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم
وازديادهم في الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت
على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر
فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كني عن الموت على الكفر بامتناع
قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق
من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال
واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة ذهبا
نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون
نفسا رجال فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز
ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقوله ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه
وابو يوسف ابو حنيفة يريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن
لها تريد ومثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا
يريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان
يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به
ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا على البناء للفاعل
وهو الله عز وعلا ونصب ملء ومل الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر لن
تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا
مما

مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات
ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء
ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله
فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين
فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها
فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد
فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري
ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته
فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر
ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير
الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي
وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض
ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب
تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل
الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل المصدر يقال حل الشيء حلا كقولك
ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله
وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن
حل لهم والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها
وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام
اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشار عليه الاطباء باجتنابه ففعل

وكان ذلك باذن الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلا لبني
اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها
شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم على نفسه وهو رد على اليهود وتكذيب
لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم
وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات
عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم
كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم
الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم
بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من
مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فأتوا
بالتورية فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم
عليهم تحريم حادث بسبب بغيهم وظلمهم لا تحريم قديم كما يدعونه وروي انهم لم يجسروا
على اخراج التورية وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة البالغة على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب
بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما لزمهم من الحجة
القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون
الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا
وهي ملة الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه حتى تتخلصوا من اليهودية
التي

التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية
اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن تبعه وضع للناس ان اول بيت
صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل يدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل
وهو الله عز وعلا ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول
متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع
للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم على رضي الله عنه ان رجلا قال له هو اول بيت قال لا قد كان قبله
بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم للذي ببكة
ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس رضي الله عنه هو اول بيت
حج بعد الطوفان وقيل اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل
الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت
بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك
بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة
يطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام
ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهنا ونحوه
من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع
المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك
الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا
بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكة فخله
حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله
مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير

الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين
لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله فيه آيات بينات فان قلت
كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده
بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه
السلام من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله
على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة
بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء آية لابرهيم خاصة
وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب آية ويجوز ان يراد فيه آيات
بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلثة والاربعة ويجوز
ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات
بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت
حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلام حبب
الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة وقرا ابن عباس وابي ومجاهد
وابو جعفر الهندواني المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل
على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون
مقام ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستانفة
اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله
كان آمنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله
الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية
بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما
انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت
فيه

١٢٧

فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى
تغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه حتى
غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر
قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا
ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد
آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه
لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعن ابي حنيفة رضي
الله عنه من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه
لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه صلى الله
عليه وسلم الحجون والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة
والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين
الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة
من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة
وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر الفقهاء والعلماء وعن ابن الزبير هو على
قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر
الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا
راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له
في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه

ولو حبوًا فلذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى شي فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التاكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب عباده ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغنا عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغنا عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغنا لا محالة ولانه يدل على الاستغنا الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل وقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا

على

١٢٨

على الكفر باياته وقرا الحسن تصدون من اصده عن سبيل الله عن من آمن علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراده الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة **فان قلت** كيف تبغونها عوجا وهو محال **قلت** فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفا الحق وابتغا ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح

وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم ؛ وكيف تكفرون
معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجيب والمعنى كيف ومن اين يتطرق اليكم
الكفر والحال ان ايات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة
طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ؛ ومن يعتصم بالله
ومن يتمسك بدينه وجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور
الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت
فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع
في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح
عنده حق تقاته واجب تقواه وما حق منها وهو القيام بالواجب واجتناب
المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من
المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم
بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى
تخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ؛ ولا تموتن معناه ولا تكونن
على حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء
العدو ولا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف
الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون
تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل
وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد
او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم

وانتم تتلى عليكم
ايات الله وفيكم
رسوله

ومن يعتصم بالله فوز

هدي الى صراط مستقيم

يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته

ومن يعتصم بالله فقد
هدي الى صراط مستقيم
ولا تموتن الا وانتم
مسلمون

واعتصموا بحبل الله
جميعا

به

به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده لا عبادته وهو الايمان والطاعة
او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه
ولا تخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي
الى صراط مستقيم ؛ ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم
كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين
يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول
معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع
الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب
المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا
وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال
الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت
بينهما العداوات وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله
ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكنتم على شفا حفرة من
النار وكنتم مشفقين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر ؛ فانقذكم
منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة
وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها
حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث
محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف
من حفرة النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت
حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفقين على
الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ ؛ يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون

واذكروا نعمت الله عليكم
اذ كنتم اعداء فالف بين
قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا



المعروف ما كان موافقا للكتاب والعقل
المنكر ما كان مخالفا للكتاب والعقل

يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون

ارادة ان تزداد ولهفتك ∴ ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم بالمعروف
والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما
نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب
صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع
الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث
كالانكار على اصحاب الماصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى
وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون واولئك
هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر
واتقاهم لله واوصلهم وعنه صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن
المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي
رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة ياتي على الناس زمان تكون جيفة
الحمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري
اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف
تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر
فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق
الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي السمع
والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت
ان يعلم الناهي انما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن ان ينكر الحسن وان لا يكون
ما ينهى

ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي
عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط
الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد
تهيا لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة
عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع
ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال
فقاتلوا فان قلت فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه
وقد اجمعوا ان من راى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه معلوم
قبحه لكل احد والانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم
بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف
وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان
عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلوة ليمرنوا عليها فان قلت
هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك
ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب
الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن
عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان
لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف
من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم
عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى كالذين تفرقوا
واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق

وتسود وجوه

على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم
المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف
وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض
وتسواد البياض من النور والسواد من الظلمة ومن كان من اهل ظلمة الباطل
وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت
به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل
واهله أكفرتم فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر
انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن مجاهد تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود
وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل هم اهل البدع والاهواء
وعن ابي امامة هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم
قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء
من قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب أشيء تقوله برأيك ام شيء سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة
قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ
هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم
جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وهو الثواب المخلد فان قلت
كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع الاستيناف
الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون
عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك

ملتبسة

[Margin:] واولئك لهم عذاب عظيم

[Margin:] فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

[Margin:] واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون

ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد
ظلما فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن
ونكّر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان
من تحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضى بها كان عبارة عن وجود الشيء في
زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع
طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله تعالى كنتم خير امة
كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم
مذكورين بانكم خير امة اخرجت اظهرت وقوله تأمرون كلام مستانف
بيّن به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم
وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن
ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او
ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون
حقا والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم
مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع
العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير
لهم مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر
مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون
المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول
من طعن في الدين او تهديد او تخويف وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين
ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت
ثم لا ينصرون

[Margin:] ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور

[Margin:] كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم

لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم
لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة
عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا
جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار
ابتداء كانه قيل اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاى فرق بين رفعه
وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار
وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي
اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر
والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني
قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي عطف عليه
هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا
ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت ما معنى التراخي في ثم قلت التراخي
في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار
فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان
واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل
وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاء امن غير عاطف بحبل من الله
في محل النصب على الحال على تقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل
من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة
الاحوال الا حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين
اى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية
وباؤا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت

ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس

على

١٢٤

بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق

على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله
وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله
اى ذلك كائن بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا اى
ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب
في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر
ونحوه مما حظيا انهم اغرقوا فادخلوا نارا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم
اموال الناس بالباطل الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اى ليس اهل الكتاب مستوين وقوله
من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله
تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من
قولك اقمت العود فقام يعني استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم
بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة
امرهم وقيل عنى صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه
اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس
ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة
غيركم وقرا هذه الاية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اى امة
قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة ايات الله
بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا
وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه
بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة
الى الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة
فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به واثر الفور على التراخي واولئك

وكانوا يعتدون

ليسوا سواء من اهل الكتاب

يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات

واولئك من الصالحين

الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله
ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يراد بالصالحين المسلمين فلن
تكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم
في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدي الى
مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى مفعول واحد تقول شكر النعمة
وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان وكانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه
وقرئ تفعلوا وتكفروا بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين
بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى الصر الريح الباردة
نحو الصرصر قال لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات
كما قالت ليلى الاخيلية ولم تغلب الخصم الالد وتملا الجفان سديفا يوم نكباء
صرصر فان قلت ما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها
ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول
برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به
على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كاف
شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء
وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد
فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما
انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم
لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة

جدواه

وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين

ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته

جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض
حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي
في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد كمثل اهلاك ريح او مثل
ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم
الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا
انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم
اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة
وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها هم ولا يجوز ان يراد ولكنه
انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر بطانة الرجل ووليجته
خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب
كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار
من دونكم اي من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة
على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال الا
في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا
آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد
ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة
واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد
الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم
انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين
وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم
بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الايات الدالة

وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا

ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم

وما تخفي صدورهم اكبر

قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون

على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون
ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يالونكم
صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير مالئكم خبالا بادية
بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن منه وابلغ ان تكون مستانفات
كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء
خبره اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطيئتهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم
صلته والواو في يؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم
تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من
كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يالمون
كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل
والبنان والابهام قال الحرث بن ظالم المري فاقتل اقواما لياما اذلة يعضون
من غيظ رؤس الاباهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى
يهلكوا والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله
وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم
ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم
الى بعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها فكيف معناه على الوجهين
اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل
غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات
الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم تخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل
لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك

وتؤمنون بالكتاب كله
واذا لقوكم قالوا امنا
واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم

والابهام

٢٠٩



١٤٤

وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثمة قول وان
يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار
بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك
بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة
ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير
ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس
والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى
الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا
وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف
الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله لا يضركم كيدهم وقرئ
لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك
مد يا هذا وروى المفضل بن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد
الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت
من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما
محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم
عليه واذكروا اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عايشة
رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره
فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا
منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا

ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها

وان تصبروا وتتقوا
لا يضركم كيدهم شيئا
ان الله بما تعملون محيط

واذ غدوت من اهلك
تبوئ المؤمنين مقاعد
للقتال والله سميع عليم

قد دعهم ان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النسا
والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا
الى هولاء الاكلب لا يرون انا جبنا عنهم وقال صلى الله عليه وسلم اني رايت في منامي
بقرا مذبحة حوالي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته الهزيمة و
ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا
بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم
احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس
لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي
ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها
حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت
للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح
ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره
وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل
لا ياتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرا عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي
لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواقف ومواطن وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا
مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد
صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم
عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه و الطائفتان
حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلثة
الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام

اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما

نقتل

١٤٥

نقتل انفسنا فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا
لاتبعناكم فهم باتباع عبد الله الحيان فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا
والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة
من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال
عمرو بن الاطنابة اقول لها اذا جشات وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي
حتى قال معوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين
فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله
تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان
ولا يتوكلان على الله فان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية والله
ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا قلت معنى ذلك فرط
الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم اية ناطقة بصحة الولاية
وان تلك الهمة غير ماخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها
والفشل الجبن والخور وقرا عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب
عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة
والذلان جمع الكثرة وجا الله بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا
وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا
على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم
انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم
مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى

وعلى الله فليتوكل المؤمنون

ولقد نصركم ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون

بدر فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم عليكم
من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام
لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان تقول لهم يوم بدر او بدل ثان من اذ
غدوت على ان تقوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان تقول لهم يوم احد
ولم ينزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم
يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول
الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم
لن يكاد انه يكفيهم الامداد بثلثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي لتاكيد
النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين
من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن بمعنى بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية
ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم
يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل عن غزوته وخرج من فوره لـ
غزوة اخرى وجاء فلان ورجع على الفور ومنه قول ابي حنيفة رضي الله عنه
الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير
للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعرج على شيء من صاحبها
فقيل خرج من فوره كما يقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان ياتوكم من ساعتهم
هذا يمددكم ربكم بالملائكة في اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله
يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد وبه منزلين
بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين معلمين
انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك

اذ تقول للمؤمنين الن
يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلاثة آلاف من الملائكة
منزلين بلى ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم من
فورهم

هذا يمددكم ربكم بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين

معلمين

١٤٦

معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيل واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب
خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير
يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله الا الا يمددكم
اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم
كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر
الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة
ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب
المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه
لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم
او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه
ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب
كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لا كبت حاسدا وارى عدوا هو
من الكبد والرية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا
من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى
ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم
وقيل او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر
او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم وقيل او بمعنى
الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب

وما جعله الله الا بشرى
لكم ولتطمئن قلوبكم به
وما النصر الا من عند الله
العزيز الحكيم

فانهم ظالمون

ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون

واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون

وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين

الله عليهم فتفرح خالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة ابن ابي وقاص
يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل
عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم
الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن وعن
الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا
يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب
من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير
بين لما يشاء وانهم المتوب عليهم والظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون
عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس
من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تاكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخهم بما كانوا عليه من تضعيفه
كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق الشي الطفيف مال
المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رضي الله عنه يقول
هي اخوف اية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه
في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم
على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع
الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال
الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة
اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وفي مصاحف اهل المدينة والشام
سارعوا بغير واو وقراء الباقون بالواو ويعضده قراءة ابي وعبد الله وسابقوا
ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به عرضها السموات

والارض

الذين ينفقون في السراء والضراء

والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين

والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها عرض السموات والارض
والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه
وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول لقوله بطائنها من استبرق
وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض
في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان
ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل او كثير كما تحكي عن بعض السلف
انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع
الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور والحال
محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في حبس او في عرس فانه
لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شي على النفس وادله على الاخلاص
ولانه كان في اعظم الاعمال الحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين
كظم القربة اذا ملاها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان
يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم
غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها
ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين
عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذه وروي ينادي مناد يوم القيامة
اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد
وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليلون
الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان
يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد
فيكون اشارة الى هؤلاء والذين عطف على المتقين والتائبين في قوله اولئك اشارة

والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم

الى العفو ويجوز ان يكون والذين مبتدأ خبره اولئك فاحشة فعلة
متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل
الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمس ونحوهما وقيل الفاحشة
الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او
حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم بان تابوا
عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة
الرحمة وقرب المغفرة وان التائب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين
الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار
والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد
وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان
جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة
وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على
قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر
ولو عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار
وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى ليسوا ممن
يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر
من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الايات بيان قاطع على ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات
متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين
ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم
لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ذلك جزاء اجر
على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل

ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها

ونعم اجر العاملين

اوحى

١٢٨

اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من
يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار
الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن
يقول الله تعالى يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها
باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم
اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه
الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من
قبل لم تجدون ولنا والانصبوا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس
ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عاقبة المكذبين
قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع
كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين
ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به من
ذكر اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين
والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وللمؤمنين على ما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد
لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل
منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر
اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته
وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي
بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم

قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين

ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين

مومنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب
والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم
الله ويبشركم الله به من الغلبة وقرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف
والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المه وقرا ابو السماك قرح بفتحتين وقيل
القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله
يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا
تضعفوا ونحوه قوله فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك
يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقلت
فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت
بلى كان مثله وقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم
الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم
ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدأ والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك
الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلى كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر
والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله ومن
ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب
سجال وعن ابي سفين انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي
كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر رضي الله عنه هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفين يوم بيوم والايام دول والحرب
سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون
ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة قال يرد المياه فلا يزال
مداولا في الناس بين تمثل وسماع يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين

ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله

وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا

امنوا

امنوا فيه وجهان احدهما ان يكون العلة محذوفة معناه وليتميز الثابتون
على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك
فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل
لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان
يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه
معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان
المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه
ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ
منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او
وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما يبتلى به صبركم من الشدائد
من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض
ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله
الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني
ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح
لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو اثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
الانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم
منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد
ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد
فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما يريد ولم يفعل
وانا اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما
يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقوله لا تاكل

وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين

ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين

السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث
عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون
ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان
يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة
ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج
الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان
تشاهدوا وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون
اي رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم
وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده
فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت
قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك
المتضمن كما ان من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصدا الى حصول المامول
من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة الى عدو الله وتنفيقا لصناعته
ولقد قال عبد الله بن رواحة حين نهض الى موته وقيل له ردكم الله
لكنني اسال الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي
حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثي
ارشدك الله من غاز وقد رشدا لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب
عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن
قميئة وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا صلى الله
عليه وسلم

ولقد كنتم تمنون الموت
من قبل ان تلقوه فقد
رايتموه وانتم تنظرون

وسلم وصرخ صارخ الا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان
ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي
عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول
الله فديناك باباينا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين
فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي
ياخذ لنا من ابي سفيان امانا وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل
ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان
قتل محمد صلى الله عليه وسلم فان رب محمد صلى الله عليه وسلم حي لا يموت وما
تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه
وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك
مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر
بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا صلى الله عليه وسلم
قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين
بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة
الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه فان مات الفاء
معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان
يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل
مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا
للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه فان قلت لم ذكر
القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت

وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل
افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم ومن ينقلب على
عقبيه فلن يضر الله شيئا
وسيجزي الله الشاكرين

اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا خبر قتله فهربوا على انه تحتمل العصمة من فتنة الناس واذلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلامه فلن يضر الله شيئا معنى فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الله بالاسلام فيما فعلوا والمعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله له فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو موكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن من الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتاخير الاجل كتابا مصدر موكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ربيون والقراءة بالتشديد

يتصو

وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسيجزي الله الشاكرين

يتصور الوجه الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي صلى الله عليه وسلم وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفين وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه والله هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ان تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفين واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته

وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين

وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين

يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين

بل الله مولاكم وهو خير الناصرين

وترى بالنصب على تاويل اطيعوا الله مولاكم سنلقي قرئ بالنون والياء
والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم
احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة
فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن
قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا ذلك القى الله في قلوبهم الرعب
فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب
في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة
فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت
لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه
حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد
صدقكم الله وعده وعدهم النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله بلى ان
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم وجوز ان يكون الوعد قوله تعالى
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا
الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر
فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل
المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت
الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون حمل الرماة يرشقون خيلهم والباقون
يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم تحسونهم اي تقتلونهم
قتلا ذريعا حتى فشلوا والفشل الجبن وضعف الراي وتنازعوا فقال بعضهم
قد انهزم المشركون فما موقفنا ها هنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأويهم النار وبئس مثوى الظالمين

ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون

وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينتهبون وهم الذين
ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين
وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله
ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها
ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله ذو فضل على المؤمنين متفضل عليهم بالعفو وهو متفضل
عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة
رحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا
فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم
اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكروا والاصعاد
الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل ويعضد الاولى قراءة ابي اذ
تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين
من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ
يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم يقول الي عباد الله انا رسول
الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة
يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم
الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم
بسبب غم اذ قتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له او غما مضاعفا
بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
والجرح وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على
تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على ما فات من المنافع

منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين

اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم

لكيلا تحزنوا على ما فاتكم

ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم
اى فاثابكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه
ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم
على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا
تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو انزل الله الامن
على المومنين وازال عنهم الخوف الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن ابى طلحة
غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه
ثم يسقط فياخذه وما احد الا يميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رايتني مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله انى
لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى يقول لو كان لنا من الامر شىء
ما قتلنا هاهنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن
ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حال منه مقدمة عليه
كقولك رايت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين
بمعنى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة تغشى قرئ بالياء والتاء ردا
على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة منهم
هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم من الهموم والاشجان فهم
في التشاكى والبثاث غير الحق في حكم المصدر معناه يظنون بالله غير الظن الحق الذى
يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية
وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن
الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز
ان

ولا ما اصابكم والله بما تعملون خبير

ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم

يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية

١٥٣

ان يراد ظن اهل الجاهلية اى لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه هل لنا من الامر من شىء معناه هل لنا معاشر
المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر
كله لله ولاوليائه المومنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلى وان
جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون
هل لنا من الامر من شىء سوال المومنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق
يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من
الامر شىء اى لو كان الامر كما قال محمد صلى الله عليه وسلم ان الامر لله ولاوليائه
وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في
بيوتكم يعنى من علم الله منه انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح
لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم من علم الله انهم يقتلون
الى مضاجعهم وهى مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل
من المومنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين
الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب
في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه
هل لنا من التدبير من شىء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة
الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان راى عبد الله بن ابى وغيره ولو
ملكنا من التدبير شيئا ما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله
عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل
منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد
وضم الباء وليبتلى الله وليمتحن ما في صدور المومنين من الاخلاص وليمحص ما في قلوبهم

الامر ما قتلنا هاهنا

لبرز الذين كتب

كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور

من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص
فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطايفة قلت قد اهمتهم
صفة لطايفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين
واستيناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فان قلت
كيف صح ان يقع ما هو مسئلة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن قلت كانت
مسئلتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان
الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون او
استيناف استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من
ذنوبهم والمعنى ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم اطاعوا
الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد وتقوية القلوب حتى تولوا
وقيل استزلهم الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم
لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وقال
الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل ببعض ما كسبوا هو تركهم المركز
الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل
ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم
ويجاهدوا على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله
تعالى ويعفوا عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم والله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا
للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى اخوة اتفاق الجنس او النسب اذا
ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع
غاز كعاف وعفى في قوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاء على حذف التاء
من

ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم

يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم

لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم

١٥٤

من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال
الماضية كقوله حين يضربون في الارض في مثلها ليكون لهم عدوا وحزنا ولا يكونوا
بمعنى ولا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم
خاصة ويصونوا منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت
معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة
في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم
والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما
يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم
ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون
ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي
المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد انه قال
عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا اموت كما يموت
العير فلا نامت اعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ
بالياء يعني الذين كفروا ولمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط
وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم
او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد
ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان
ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها
لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضي الله عنه خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء
اي يجمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب
تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به

ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون

ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون

فبما رحمة من الله لنت لهم
ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك
فاعف عنهم واستغفر
لهم وشاورهم في الامر

شأن ليس بالخفي وقرى متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات ما
مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم
ميثاقهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم
غما بغم واساهم بالمثابة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت
فظا جافيا غليظ القلب لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف
عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم
في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برايهم ولما فيه
من تطييب قلوبهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه
اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا
لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم
فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالراي دونهم وقرى

فاذا عزمت فتوكل على
الله ان الله يحب المتوكلين

وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل
على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت
ولا من تشاور وقرى فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك
اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد

ان ينصركم الله فلا غالب
لكم وان يخذلكم فمن ذا
الذي ينصركم

يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان
الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من
بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرا عبيد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله
مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتاييد وتحذير

١٥٥

وعلى الله فليتوكل المؤمنون

وما كان لنبي ان يغل
ومن يغلل يات بما غل
يوم القيمة ثم توفى كل نفس
ما كسبت وهم لا يظلمون

من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون
ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم بانه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه
يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا
اخذ من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول
وقوله ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا
وجده غالا كقولك ابخلته وافحمته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني
النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرا على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه
وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان
يبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة
والغلول متنافيان لئلا يظن ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي
ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذها وروي انها نزلت في غنايم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا
الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان
لا يقسم الغنايم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم الا
تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على ما روي انه بعث طلايع فغنمت غنايم فقسمها ولم يقسم للطلايع فنزلت يعني ما
كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان
بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا للامر ولو قرى ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز
يات بما غل يوم القيمة يات بالشي الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث

جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروى لا لاعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء
وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله
شيئا وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية

افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير

فقال اذا احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يأتي بما احتمل من
وباله وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم توفى ما كسبت ليتصل به قلت
جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو
ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي موفى جزاؤه
علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم

هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون

في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت
الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم درج السيول وقيل ذوو
درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين
الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها
لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم
لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل

اذ بعث فيهم رسولا

كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت
اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه وكانوا واقفين
على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به
وفي كونه من انفسهم شرف لهم لقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي قراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان
عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف
ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش

محمد

محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها
وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم
وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس
حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي
هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا
له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان
احدهما ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام
الدلالة عليه ويكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان
قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية
لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة
سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم
وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة مبين
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من
قبل لفي ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد
من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين
لما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه والمعنى اقلتم حين اصابتكم
وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو
هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده
ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا اي
من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسهم وقوله من عند الله والمعنى

قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير

وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله

انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن
علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن ان الله على
كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب
منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله
اي تخليته استعار الاذن لتخلية الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن
مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر
ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل
فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا
لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ
قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم
يكن لهم غرض الاخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة
عليه راسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه
فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا
لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه عن سهل بن سعد الساعدي وقد
كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم
وبين عدوهم فقيل له وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد كثروا
سوادهم ووجه اخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان
يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطاء رايكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء
ولا يقال لمثله قتال انما القاء النفس الى التهلكة لان راي عبد الله كان في الاقامة
بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم

وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا

قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم

فلما

فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم
واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم
سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم
ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير
لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في
مواطأة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يجري بعضهم مع
بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم
تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته
الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا
او رفعا على هم الذين نافقوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا
من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده
لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد
او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقعدوا عن القتال لو اطاعونا
اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن
انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل
سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع
غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على
دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات
يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم
دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه
ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب

ما ليس في قلوبهم

النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فبم تدعون
ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب
غيره ووجه اخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم
لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن
انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا
جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله صلى الله عليه وسلم
او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم
الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت في سبيل الله
كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف
المبتدا في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح
السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم
مقربون عنده ذو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر
الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها
من التنعم برزق الله فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة
وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من قولهم احياء مقربين معجل
لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم
باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي
الى قناديل معلقة في ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم
يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم
وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم بدل من

الذين

١٥٨

الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين
وهو انهم يبعثون امنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به
وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد
الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد
لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز
في الماب وكرر يستبشرون ليتعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته
ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر
على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي ويعضده قراءة عبد الله
والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين
او نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء
ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم
ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال
لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة
حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثلاثة اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا
على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر فالقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا
فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد
احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة رضي الله عنها
ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد

فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل

يستبشرون بنعمة من الله وفضل

وان الله لا يضيع اجر المحسنين

الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح

واتقوا اجر عظيم

موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما
كان القابل خرج ابو سفين في اهل مكة حتى نزل من الظهران فالقى الله الرعب
في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال
يا نعيم اني واعدت محمدا صلى الله عليه وسلم ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام
جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي
ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي
عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي اتوكم في دياركم
وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم
عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفين ركب من عبد القيس وهم
يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون
الخروج فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد
فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي
قالها ابرهيم عليه السلام حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال
وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين
غانمين ورجع ابو سفين الى مكة فسمى اهل مكة اهل جيشه جيش السويق
قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاول المثبطون والاخرون ابو سفين
واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت
قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له
الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضاهونه
ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام يرجع المستكن
في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم

هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او
الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت
لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام
كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان
خروجهم على اثر تثبيطه الى وجه العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان
لان الايمان اعتقاد وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص
قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن
عمر رضي الله عنه انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا حتى نزداد ايمانا وعنه
لو وزن ايمان ابي بكر رضي الله عنه بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله
اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول
هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير
حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله
وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدوهم
واتبعوا رضوان الله بجراتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق
فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطا رايهم حيث حرموا انفسهم
ما فاز به هولاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو
ورضي عنهم الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه
جملة مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر
والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفين ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه

دفعا لوا

انما ذلكم الشيطان

الذين هم ابو سفين في اصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود [illegible]
يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه الذين القاعدين عن الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت فالام رجع الضمير في فلا تخافوهم
على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم
فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى
ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على
خوف الناس ولا تخشون احدا الا الله يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا
ويرغبون فيه اشد الرغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا
عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن
لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه ولا يحزنوك لخوف ان
يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون
بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا الى غيرهم ثم بين كيف
يعود وباله عليهم بقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا من
الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه
فان قلت هلا قيل لا يجعل لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة
قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خالصا
لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان
وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين مريد ان لا يرحمهم ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم
بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين
او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من

الضرر

فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين

ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر

انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة

ولهم عذاب عظيم

ان الذين اشتروا الكفر بالايمان

لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم

الضرر وبعض الضرر الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وانما نملي لهم خير
لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن انما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه
ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى
ولا تحسبن ان املاءنا خير لهم وكان حقها على قياس علم الخط ان تكتب مفصولة
ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا تخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف
فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار
بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل
على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه
فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على
ولا تحسبن الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع
والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من
املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة
عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع آجالهم انما
نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة
مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا
لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد
الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض
الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة
الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب وكذلك ازدياد
الاثم جعل علة للاملاء وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة
للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله

ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين

المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرا يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا تحسبن بالياء على معنى ولا تحسبن الذين كفروا ان الاملاء لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله معناه ان الاملاء خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبن انما املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق من المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه صلى الله عليه وسلم واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي وما كان الله ان يؤتي احدا منكم علم الغيب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بنفاق الرجل واخلاص الاخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلان في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات فخود

ان نواد

ماكان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب

وما كان الله ليطلعكم على الغيب

ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء

ان نراد ولا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا لضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فامنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليس من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا تحسبن من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرا الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل تجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره

لام

فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم

ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم

[illegible]

فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات
وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله
تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلوا اما ان يقولوه عن اعتقاد
لذلك او استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين
في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب
ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب
فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب ما قالوا وهلا قيل ولقد كتبنا
قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد
بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم
الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه
من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم
يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة
وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله
فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا
وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم
بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص
يقال للمنتقم منه احسس ذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق
وقرا حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرا الحسن والاعرج

سكتب

والله بما تعملون خبير

لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق

ونقول ذوقوا عذاب الحريق

سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك اشارة الى ما
تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع
بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد
على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات
في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم
ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التورية
واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه الاية الخاصة وهو ان يرينا
قربانا تنزل نار من السماء فتاكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان
يقرب بالقربان فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة
وافتراء على الله لان اكل النار القربان (اي نار لا دخان لها) لم يوجب الايمان للرسول الاتي به
الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وسائر الايات سواء فلا يجوز ان يعينه
تعالى من بين الايات وقد الزمهم ان انبياء ثم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي
اوجبت عليهم التصديق بها وجاؤهم ايضا بهذه الاية التي اقترحتموها فلم قتلوهم
ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره
السلطان فان قلت فما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه ومعنى
الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقولك ثم يعودون لما قالوا
اي معنى ما قالوا في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير
التورية والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من تكذيب قومه وتكذيب اليهود وقرا اليزيدي ذائقة الموت على الاصل
وقرا الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله
الا قليلا فان قلت كيف اتصل قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله

ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد

الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار

قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ٥

فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ٥

كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة

به على ان كلكم لابد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعتكم ومعاصيكم
عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور فان قلت فهذا
يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور
وتكميلها تكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور الزحزحة
التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز
المطلق المتناول لكل ما يفاز به والغاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب
السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز
في المآب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل
الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب
ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه
الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين فساده
ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن
آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون
بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر
عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة
بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح
وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبيل
الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين
الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف
من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص

ومن بني

فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز

وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور

لتبلون في اموالكم وانفسكم

ولتسمعن في اموالكم و انفسكم من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا

ومن بني قريظة والنضير فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من
معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون
يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله
واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد
عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه
وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الكتاب وتأكيده عليهم يعني
لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد
ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ
على العلماء ان يبينوا الحق للناس ما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد
من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة
وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه
غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن
طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت
نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد
من العلماء ان يسكت عن علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل
وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم
ان يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية
مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة
وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن
فلا تحسبنهم خطاب المؤمنين ولا تحسبن فلا تحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما

وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور

واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون

الميثاق

لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب

على ان الفعل للموصول وقرأ ابو عمرو بالياء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل
للذين يفرحون فانزنا و فلا تحسبنهم تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء
مستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا
فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ اتوا بمعنى اعطوا وعن
علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه
بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله
رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما
فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق
عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا بما اوتوه من علم
التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم عليه السلام حيث ادعوا ان
ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف
واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار
الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم
بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا
لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا
عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك
امرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم لايات لادلة واضحة على
الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر

والاستدلال

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب

في الاعراف ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها الاية

١٦٤

والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب
الفطر وفي النصائح الصغار املا عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة
هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا في حكمة مدبرها قبل ان يسافر
بك القدر وتحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني
باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره
عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان
تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني احب قربك واحب هواك قد اذنت
لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ
من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل
يبكي ثم رفع يديه وجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه
بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي
في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها
وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتامل فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض
وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبدها
فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك فقال ما
اذكر قال لعلك نظرت مرة الى السماء فلم تعتبر قال لعل قالت فما اوتيت الا من
ذاك يذكرون الله ذكرا دائبا على كل حال وعلى اي حال كانوا من قيام وقعود
واضطجاع هم لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة
انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار

يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من اراد ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون عن الله
على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين
صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهذه
حجة الشافعي في اضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعن ابي حنيفة رضي الله عنه
انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على
ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض
وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما
تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن
سفين الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى
الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد
ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة
كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما تحدث الماء
للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له
في كل يوم مثل عمل اهل الارض قال وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل
القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت
هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال اي يتفكرون قائلين
والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو
ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب

معصيتكم

١٦٥

معصيتكم ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت
هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون
في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات
والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا
ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا
من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان خلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته
فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان
فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من تدخل النار واعلام
بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول
كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما
يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن له بد ان
يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي
قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي
اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي
اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية
بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق
ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد
رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا ولكذا وندبه اليه وناداه
له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص
واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب
القرآن ان امنوا اي امنوا او بان امنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار

ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار

ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار

ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد

مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع برٍّ كربٍّ وارباب وصاحب واصحاب على رسلك على هذه صفة للوعد في قولك وعدالله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعدا، فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما حفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجا الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع واللجا الذي هو سيماء العبودية يقال استجاب له فلم يستجبه عند ذلك مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف البا، وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ

فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض

واخرجوا

لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله

وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وتملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من الابتهال واعظام ما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الآية حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعا وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعا لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اي لا تنظروا الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة وروي ان ناسا من المومنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخا ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى نهي عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشي فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل

والله عنده حسن الثواب

ولا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد

لا يغرنكم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه
وثبت على التزامه كقوله ولا تكن من الكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين
وهذا في النهي نظير قوله اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين امنوا امنوا وقد جعل
النهي في الظاهر للتقلب وهو في المخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان
التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون
الخفيفة متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد
اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب
او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد
ساء ما مهدوا لانفسهم النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما
على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر
موكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار
مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرا مسلمة بن محارب والاعمش نزلا
بالسكون وقرا يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل
الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل
في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين
عيسى عليه السلام وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية
بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم اخرجوا فصلوا على اخ لكم بغير ارضكم فخرج الى البقيع
ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون

الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله

وما عند الله خير للابرار

وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله

فاسلموا

١٦٧

نصراني

انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء
على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القران
وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن في معنى الجمع لا يشترون
بايات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم
عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده في قوله اولئك يؤتون اجرهم
مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو
عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد انما توعدون لات قريب بعد
ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في
الصبر على شدائد الحروب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر
ذكر بعد ذكر الصبر على ما يجب الصبر تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا
في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو وقال الله تعالى ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما
وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا
لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها
امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا السورة التي يذكر فيها ال
عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

لان من يؤمن ه

واتقوا الله لعلكم تفلحون

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس يا بني ادم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس
ابيكم ادم فان قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما
ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها او ابتداها وخلق منها زوجها

حواء من ضلع من اضلاعه وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث
فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان [illegible] على
خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الانس الجنس المفرع منه وخلق منها
امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت
الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما
يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل
الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة
ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر
فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه وتخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة
عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد
بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا
يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا
مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه
وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ
اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون
به فادغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية اي يسأل بعضكم
بعضا بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم او تسألون
غيركم بالله وبالرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه
وينصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات
الثلاث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان يعطف على محل الجار

والمجرور

١٦٨

والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
تساءلون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان
الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد وكانا في قولك مررت به
وزيد وهذا غلامك وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه
العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا
غلامه وغلام زيد الا ترى لصحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو
الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها
قول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب والرفع على انه مبتدأ خبره
محذوف كانه قيل والارحام مما يتقى والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم يقرون
انهم لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم
واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي
تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وعلا اذ قرن الارحام باسمه
ان صلتها منه بمكان كما قال الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن
اذا سألك بالله فاعطه واذا سألك بالرحم فاعطه والرحم حجنة عند العرش ومعناه
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت
به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله صلى الله
عليه وسلم تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع
قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع
الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة
ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين
مات اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة

وقيل اليتيم في الاناسي من قبل الاباء وفي البهايم من قبل الامهات فان قلت
كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان احدهما ان
تجمع على يتمى كاسرى لان اليتيم من وادي الافات والاوجاع ثم تجمع فعلى على فعالى
كاسارى وجوز ان تجمع على فعايل لجري اليتيم مجرى الاسماء كصاحب وفارس
فيقال يتايم ثم يتامى على القلب انشدني الامير الشريف ذو المناقب لبني [illegible]
أطلال حسن بالبراق ليتايم سلام على اجيادكن القدايم وحق هذا الاسم ان يقع
على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل
ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقايم عليهم وانتصبوا
يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش يقولون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب اما على القياس واما حكاية للحال التي كان
عليها صغيرا ناشيا في حجر عمه توضيعا له واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم
بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار
فان قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد باليتامى الصغار
وبايتائهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته
ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة
واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا
بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا
يؤخروا دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان
يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل نزلت في رجل من غطفان كان
معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول

نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال صلى الله عليه وسلم ومن يوق
شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الغلام ماله
انفقه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا
يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق ماله في
سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم من المكاسب ورزق
الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او ولا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال
اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال
غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستيخار قال ذو الرمة
فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد ويا لؤم ما
استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا وياخذ جيدا وعن السدي
ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وليس هذا بتبدل وانما هو تبديل الا ان
يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق
حتى لا تفرقوا بين اموالهم واموالكم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال
فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي
عن اكله معها قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم
الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم
كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب
العظيم ومنه قوله ان طلاق ام ايوب لحوب وفيه قيل انه كان ذنبا عظيما
كبيرا وقرئ حوبا بفتح الحاء مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظيره الحوب

والحاب الطرد والطرد، ولما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير
حاب الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى وأخذوا يتحرجون
من ولايتهم وكان الرجل ربما كانت تحته العشر من الأزواج والثمان والست
فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى
فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات
لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب لمثله فهو غير متحرج ولا تائب
لأنه إنما وجب أن يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب
وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنى وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل لهم إن خفتم
الحوب في حق اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات
وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن
غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن
أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم ألا تقسطوا في
يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور
وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والأصل أيائم ويتائم وقرأ النخعي تقسطوا
بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وإن خفتم أن تجوروا ما طاب
ما حل لكم من النساء لأن منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما [illegible]
ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله [illegible] ما ملكت
أيمانهم مثنى وثلاث ورباع معدودة عن أعداد مكررة وإنما منعت الصرف لما فيها
من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف
يقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره
الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين [illegible]

فإن قلت الذي أطلق للناكح في الجمع بين ثنتين أو ثلث أو أربع فما معنى التكرير
في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح
يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال
وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى
فإن قلت لم جاء العطف بالواو دون أو قلت كما جاء بالواو في المثال الذي
حذوته ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو
أربعة أربعة أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد هذه الأنواع وليس
لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه
على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة التي دلت عليها الواو وتحريره
أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق
الجمع إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد وإن شاءوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء
ذلك [illegible] وربع على القصر من ثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا بين
هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا أو اختاروا واحدة
[illegible] يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ
[illegible] واحدة أو فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة أو ما ملكت أيمانكم
[illegible] بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولا توقيت
عدد ولعمري إن أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤنة من المهائر لا عليك
أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن في القسم أو لم تعدل عزلت عنهن أو لم تعزل
[illegible] من ملكت [illegible] الإشارة إلى اختيار الواحدة أو التسري
[illegible] ألا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وميزان
[illegible] عائل وعال الحاكم في حكمه إذا جار وروي أن أعرابيا حكم عليه حاكم فقال

ان تعول علي وقد روت عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه [illegible]
الا تعولوا الا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رضي الله عنه انه فسر الا تعولوا
ان لا يكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولهم عال الرجل عياله كقولهم مانهم يمونهم اذا
انفق عليهم لان من كثرت عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه
المحافظة على حدود الشرع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام
العلم وايمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا
يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن
بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها على الخير محملا وكفى بكتابنا
المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه اعلى كعبا واطول
في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك
في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات **فان قلت** كيف يقل عيال من تسرى
وفي السراري نحو ما في المهاير **قلت** ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد
والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان
التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى
تزوج الاربع وقرا طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة
تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن
مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس رضي الله عنه لها بالصدقة وقرى صدقاتهن
بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون
الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرى صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد
وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه
له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث [illegible]

جداد

جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء
بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن
عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي وآتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي
النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة من طيبة النفس وقيل
نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام
خير النحل وفلان ينتحل بكذا اي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها
[illegible] لها ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه
[illegible] للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون
هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه
والضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى
[illegible] اؤنبئكم [illegible] بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب
[illegible] انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق قال اردت كان ذاك
[illegible] معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء
[illegible] فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه اصدق
[illegible] ان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى
[illegible] وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بها
[illegible] الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه
[illegible] بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي
[illegible] فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى
[illegible] نفسها عنه لما رجعت وعنه اقيلها
[illegible] من آل ابي معيط اعطته امراته

الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك
بن مروان فقال الرجل اعطتني بها نفسها فقال عبد الملك فاين الاية التي بعدها
فلا تاخذوا منه شيئا وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته ان النسا
يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فلها ذلك وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن هذه الاية فقال اذا
جادت لزوجها بالعطية طايعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا
يواخذكم الله به في الاخرة وروي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في
شي مما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة
فكلوه سايغا هنيئا وفي الاية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن وسمحن
اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شي
منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز
تبرعها ما لم تلد او تقيم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير
الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة
بعض الصدقات واحدة منها الهني والمري صفتان من هنو الطعام ومرو
اذا كان سايغا لا تنغيص فيه وقيل الهني ما يلذه الاكل والمري ما تحمد عاقبته
هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى المعدة المري
فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريا او حال من الضمير
اي كلوه وهو هني مري وقد يوقف على فكلوه ويبتدا هنيئا مريا على الدعا وعلى
انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين [illegible]
في الاباحة وازالة التبعة السفها [illegible]

لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاوليا واضاف الاموال اليهم
لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم
من فتياتكم المومنات والدليل على انه خطاب للاوليا في اموال اليتامى قوله وارزقوهم
فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضيعتم
فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وروي قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا
وقرا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قواما بالواو وقوام الشي ما يقام به كقولك هو ملاك
الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المومن ولان اترك مالا يحاسبني
الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفين وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل
بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا فقال لئن ادنتني من الدنيا
لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم
كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك
[illegible] واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم
من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله
الى احد من السفها قريب له او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي
ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا
اليكم اموالكم وعن عطا اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا
وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك
وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا وشرعا من قول او عمل فهو
معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا
عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا بلغتم منهم رشدا
[illegible] حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم

لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود منه وهو التوالد والتناسل
الاستيضاح فاستعير للتبيين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة
واصحابه رضي الله عنهم ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه
والرشد التهذيب لا وجوه التصرف وعن ابن عباس رضي الله عنه الصلاح في العقل
والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه في الاخذ
والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق
مفسدة للمال فان قلت فان لم يونس منه الرشد الى حد البلوغ قلت
عند ابي حنيفة رضي الله عنه ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر
عنده ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير
احوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله
اونس منه رشد او لم يونس وعند اصحابه لا يدفع اليه ماله ابدا الا بايناس الرشد
فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد
في التصرف في التجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام
فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم
جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى
تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة
لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم
فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو
اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم
اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان احستم [illegible] قال
تحسس به نفس اليه شوقا [illegible]
مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون [illegible]

١٧٢

تنفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين
ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعف من اكلها ولا
يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل
قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من
الاختلاط ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه
عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال
بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه
ولدك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال
ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم ورودها فاشرب
غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف
ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة
ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة
الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة
يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد
بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ
القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اني انزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان
افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف
كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت
عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة
الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك

والشافعي رضي الله عنهم لا يصدق الا ببينة فكان في الاشهاد الاستحراز
من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة
وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم
بالتصادق واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات
دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل من ما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا
نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لهم
من ان تحوزوه ولا يستاثروا ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد
كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن صامت
الانصاري ترك امراته ام كجة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد [illegible]
او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء
والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعنا بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز
الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ
فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما
لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى نزلت
يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني
واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولو القربى [illegible]
منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر ندب [illegible]
المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم [illegible]
بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك نادبا من غير ان يكون فريضة
قالوا ولو كان لهم فريضة كضرب له [illegible]
ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر قسم ميراث ابيه [illegible]

حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الاية وقيل هو على الوجوب
وقيل هو منسوخ باية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون
نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يلطفوا
لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم
ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون
على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا
قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك
قالوا لهم قولا معروفا وكانوا يقولون لهم بورك فيكم وليخش ما في خبره صلة للذين
والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى
ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا
في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز
ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى
المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه
بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم ويخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم
شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا
للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى
والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين
هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا
وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو
شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم
الضياع بعدهم لذهاب كافلهم [illegible] زاد الحبوة الى [illegible]

بناتي انفق من الضعاف احاذر ان يرين البوس بعدي وان يشربن رنقا [illegible]
وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول
السديد من الاوصياء ان لا يوذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم
بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض
ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادكم مثل [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من
ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة يستحبون ان [illegible] الوصية
الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان
يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه الظلم [illegible]
السوء وفضائه في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض
بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى ياكلون نارا ياكلون ما يجر الى
النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة
والدخان من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان
ياكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتشديد [illegible]
سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم
في اولادكم في شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله [illegible]
مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر [illegible]
حظ الذكر قلت ليبدا ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه
لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر [illegible]
للانثيين مثل حظ الذكر قصد [illegible]
كان ادل على فضله [illegible]

الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف
لهم نصيب الاناث فلا يتمادى حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل
ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر
الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر
والانثيان فكان لهما سهمان كما ان له سهمين واما في حال الانفراد فالابن
ياخذ المال كله والبنتان ياخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم
الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه كقوله السمن
منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا
ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا
وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة
وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف
واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان
كن نساء وعن زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان
[illegible] علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر
[illegible] مسبوق لبيان حظ الذكر من الاولاد قلت
[illegible] حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين
[illegible] ان يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون
[illegible] كانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان
قلت [illegible] فان قلت لم قيل فان كن نساء
[illegible] خلوصهن اناثا لا ذكر [illegible]

ملخصه مع ان يقدر في قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث [illegible]

فيهن ليتميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين
وبين انفرادهن واريد هاهنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها
وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن
وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما
حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فان ابن عباس ابى تنزيلهما
منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة
وهو ظاهر مكشوف واما ساير الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي
يعللون به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل ان حكم الانثيين حكم الذكر
وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين
فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
على معنى وان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان
لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين
امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان
يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع
اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها
ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب
لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل
وفايدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو
قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين بينهما على التسوية وعلى
فان قلت فهلا قيل ولكل [illegible] لابويه السدس واي فائدة في ذكر الابوين
اولا ثم في الابدال منهما قلت [illegible]

ونستد يداكا الذي يراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره
لابويه والبدل متوسط بينهما وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف
وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب
في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كانت انثى عصب مع اعطاء
السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه
فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة في قوله وورثه ابواه
قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك
لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب
الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس رضي الله عنه والمعنى ان الابوين اذا خلصا
تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها
ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيها وجهان احدهما ان الزوج انما يستحق
ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني
ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف اذا خلص ويكون صاحب
فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط
نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امرأة لو تركت زوجا وابوين فكان للزوج
النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب
الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس
الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس
وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس رضي الله
عنه [illegible] الام فان قلت فكيف صح
[illegible] قلت الاخوة تفيد

معنى الجمعية المطلقة من غير كمية والتثنية كالتربيع والتثليث في افادة
الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه
بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية
من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده
كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصى بها وقرئ يوصي بها
بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت
ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على
قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت [illegible]
على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت [illegible]
للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة و[illegible]
ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف
الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين حثا على
وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية
بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله اباؤكم [illegible]
انفع لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم [illegible]
يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة [illegible]
اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية [illegible]
وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا [illegible]
لان عرض الدنيا وان كان عاجلا [illegible] الا انه فان فهو في الحقيقة
الابعد الاقصى وثواب الاخرة [illegible]
الاقرب الادنى وقيل ان [illegible]

ابوه اليه وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه
فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرايض
على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فوضعتم
انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب له النفقة على الابن اذا احتاج
وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب
نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا بمجاوب له لان هذه الجملة
اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول
ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان
عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها فان كان
لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المراة على النصف من الرجل بحق الزواج
كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجمع سواء في الربع والثمن وان كان
رجل يعني الميت يورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة
خبر كان اي ان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان
وكلالة حال من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد
على البناء [illegible] حال او مفعول به فان قلت ما الكلالة قلت
[illegible] ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد
[illegible] من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث
[illegible] كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة
[illegible] بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى
[illegible] من غير جهة الولد والوالد
[illegible] فاقة للاحمق

فان قلت فقد جعلتها اسما للقرابة فعلام تنصبها قلت على انها
مفعول له اى يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها فان قلت
فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل
حينئذ هو الوارث لا الموروث فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد
منهما الى من يرجع قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما
فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس
من غير مفاضلة الذكر والانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت
نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت
بين الذكر والانثى وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال
اقول فيه برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان
والله منه برئ الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة
هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد
الام ويدل عليه قراءة ابى وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن [illegible]
وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام [illegible]
بما ذكر في اخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا
لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزد [illegible]
به الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد [illegible]
والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اى يوصى بها وهو [illegible]
لورثته وذلك ان يوصى بالزيادة على الثلث او يوصى بالثلث فما دونه [illegible]
مضارة ورثته ومغاضبتهم [illegible]
في الحيوة وعند الممات [illegible]

تبس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله وهو الثلث فما دونها بزيادته على
الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وينصر
هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار
او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت في يوصى
ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت
كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصى هو الميت
فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت
يضمر يوصى فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثمة موصيا
كما قال يسبح له [illegible] على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثمة مسبحا فاضمر يسبح
فكما كان رجال حالا عما كان يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل
عليه يوصى بها تلك اشارة الى الاحكام التى ذكرت في باب اليتامى والوصايا
والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة
للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ
بالياء والنون [illegible] يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ
من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان
يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد
من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها يأتين الفاحشة
يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن
مسعود رضى الله عنه يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على
[illegible] فخلدوهن محبوسات في بيوتكم
[illegible] الزانية والزانى الاية



وجوز ان يكون غير منسوخة بان تترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة
ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحدّ د صيانة لهن عن مثل ما جرى
عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا
هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن
مشروعا ذلك الوقت **فان قلت** ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت
بمعنى واحد كانه او يتوفاهن الموت **قلت** يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة
الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم [illegible]
الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان ياتيانها منكم
يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما خفتما
الله فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة
فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود
العاثرين على سوهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام
والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا [illegible]
الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان
بالهمز وتشديد النون التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول
والغفران واجب على الله تعالى لهولاء بجهالة في موضع [illegible] يعملون السوء جاهلين
سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه و[illegible] مما لا يدعو اليه
الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب
من زمان قريب والزمان القريب [illegible] قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا
حضر احدهم الموت فبين ان [illegible] الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة
فبقي ما وراء ذلك في حكم [illegible] وعن ابن عباس رضي الله عنه قبل ان ينزل به سلطان

انما التوبة على الله
للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون
من قريب فاولئك يتوب
الله عليهم وكان الله
عليما حكيما

179

الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يوخذ
بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة
عبده ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان
ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه
في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر **فان قلت**
ما معنى من في قوله من قريب **قلت** معناه التبعيض اي يتوبون
بعض زمان قريب والا فهو تائب عن بعيد **فان قلت** ما فائدة قوله
فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله **قلت** قوله انما
التوبة على الله اعلام بوجوب التوبة عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات
وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان
الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب وليست التوبة للذين يعملون
[illegible] على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى
حضرة الموت وبين الذين على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت
اول احوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة فكذلك
المسوف [illegible] الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار
[illegible] نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعيد
[illegible] لا محالة **فان قلت** من المراد بالذين يعملون السيئات
[illegible] القبلة ام الكفار **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد
[illegible] لان الكلام انما وقع في الزانيين
[illegible] الكفار واردا على سبيل التغليظ
[illegible] ان شاء يهوديا وان شاء

نصرانيّ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات لا تحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت كانوا يبلون النساء بانواع البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم من امرأة التي توبه عليها وكان احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكروهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن ومن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن بالحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت ... بعضه وبقي بعضه الا ان يأتين بفاحشة مبينة ... الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي ... من جهتين فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي ... وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان ... اذا اصابت امرأة فاحشة اخذ منها ما ساق اليها ... ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد الرجل ... له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت ... بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن ... وهو النصفة في المبيت ... نفار قوهن لكراهة الانفس ...